الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العالي والبحث العلمـــي
جـــامعة قـــاصدي مربـــاح ورقلة
كليـــة الآداب واللغـــات
قسم اللغة والأدب العربي

ملامح الصوتيات التركيبيـــة عند ابن جنّي

من خلال كتبه: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمنصف

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

تخصص: الفكر النحوي واللسانيات

إعداد الطالبة:-

سميرة بن موسى

أعضاء لجنة المناقشة:-

أ- عبد المجيد عيساني	جامعـــة ورقلـــة	رئيسا
أ- بوبكـــر حـــسيني	جامعـــة ورقلـــة	مقررا
أ- أحمـــد بلـــخـــضر	جامعـــة ورقلـــة	مناقشا
د- لخضـــر روبـــحي	جامعـــة المسيلـــة	مناقشا

السنة الجامعية :2011-2012

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ
قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾

[الشعراء 192 – 195]

إهداء

إلى رمزي الحنان والعطاء الدائم ... أمي وأبي

إلى رمز الوفـــاء ورفيـــق الدرب ... زوجي أحمد

إلى رمـــزي الأمـــل بغد مشرق ... منـــال وقطـــر الندى

إلى رموز المحبة والتعاون والاحترام ... إخوتي وأخواتي

إلى روح معلمـــي رحمـــه الله ... صـــدوقي محمـــد العيـــد

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

مقدمـــــــــة

الحمد لله خالق الإنسان، معلمه البيان، وجاعل اللغة العربية أشرف لسان، والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه الذين فتحوا البلاد، ونشروا لغة القرآن وعلموها للعباد، أما بعد:

إن اللغة العربية من أشرف اللغات وأنبلها؛ بها نزل القرآن العظيم؛ كلام المولى عز وجل، على رسوله الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم– العربي الأمي، المبعوث رحمة للناس أجمعين العرب منهم والعجم، فالتقى بذلك العربي بفصاحته والأعجمي بعجمته حول هذا الكتاب العظيم؛ لحفظه وتلاوته. فاختلطت الألسن وظهر اللحن؛ فقام الغيورون على لغة التنزيل بوضع ضوابط تحمي وتحفظ هذه اللغة الشريفة من الزيغ والزلل.

وبذلك نشأت الدراسات اللغوية القديمة، بوضع نقط الإعراب للقرآن الكريم. توالت بعدها الجهود التي تدرس وتعتني باللغة العربية، ولم يعد الحفاظ على لغة القرآن وحده هو الهدف، إنما تعداه إلى لغة الشعر والنثر من كلام العرب الفصحاء، والتي أصبح من الواجب الحفاظ عليها كموروث ثقافي يمثل أصالة العربي وتمسكه بجذوره العميقة.

وقد ألمت الدراسات اللغوية القديمة بجل جوانب اللغة ومستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

وقد كانت لنا في هذه الدراسة وقفة عند المستوى الصوتي، هذا المستوى الذي تقوم عليه دراسة كل لغة ومن بينها اللغة العربية.

وقد شهدت دراسة اللغة من هذا الجانب تطورا مدهشا أدى إلى ظهور علم كامل المعالم والصفات، يدرس الصوت اللغوي من كل جوانبه، وهو علم الأصوات. وكان العلماء العرب القدماء ممن اهتموا بدراسة اللغة من جانب الأصوات. وكان فيلسوف العربية أبو الفتح عثمان بن جني من بين هؤلاء العلماء.

ويعد ابن جني أول من خصص للدراسة الصوتية مؤلفا مستقلا بعد أن كانت القضايا الصوتية تدرس مختلطة بغيرها من القضايا اللغوية، كما يعد أيضا أول من أطلق على هذه الدراسة اسم علم الأصوات. كما أنه سن العديد من المصطلحات الصوتية ودرس الأصوات وحدد مخارجها وصفاتها.

ومن المعروف الآن أن علم الأصوات يدرس الصوت اللغوي وفق محورين اثنين هما:

- محور الوصف والتحديد؛ ومجاله علم الأصوات العام phonetics.
- محور الوظيفة؛ ومجاله علم الأصوات التركيبي أو الوظيفي phonology .

فإذا كان ابن جني قد وصف الأصوات العربية وحدد مخارجها وصفاتها، فأدرجت جهوده ضمن ما يسمى الآن بعلم الأصوات العام، بل أنه عد رائدا في هذا المجال، ألا يمكن أن يكون هذا العالم الفذ قد تناول شيئا في جانب المحور الثاني محور الوظيفة ؟ وهو الذي توصل إلى كل هذه الدقة والعلمية في علم الأصوات العام، على الرغم من غياب الآلات والوسائل المساعدة على ذلك. ألا يمكن أن يكون له ما يذكر في مجال علم الأصوات التركيبي؟

وإذا كان الجواب: بلى، فما هي القضايا التي تحدث عنها ابن جني والتي يمكننا إدراجها ضمن محاور علم الأصوات التركيبي ؟

وكيف تناولها بالدراسة أبالتصريح أو التلميح؟ ثم ماذا اصطلح عليها؟

كل هذه الأسئلة وغيرها كانت خاطرا برق في ذهني؛ فاخترتها لتكون الإشكالية التي تدور عليها رحى هذا البحث، والذي رأيت أن يكون بعنوان: ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني، واخترت أن تكون مدونة البحث ثلاثة من أشهر كتبه، وهي: الخصائص وسر صناعة الإعراب والمنصف؛ لاعتقادي بأنها المكان الذي صب فيه ابن جني معظم آرائه الصوتية.

وتكمن أهمية البحث وأهداف هذا الموضوع في عدة نقاط أهمها:

- بيان أهمية التفكير الصوتي ونضجه عند العلماء العرب القدماء عموما، وعند ابن جني خصوصا.

- بيان أهمية المدونة: الخصائص وسر صناعة الإعراب والمنصف كمصادر أساسية للدراسة الصوتية.

- التأكيد على أن مستويات اللغة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي مترابطة مع بعضها البعض، والفصل بينها يكون لتسهيل الدراسة لا غير.
- كما أننا سنتناول بعض قضايا الدرس الصرفي وموضوعاته بالتحليل الصوتي.

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت الفكر الصوتي عند ابن جني فهي كثيرة نذكر منها:

- البحث الصوتي عند ابن جني لـــ زبيدة طالب، وهي رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة 1976م.
- التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لـــ هنري فليش، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، وهو مقال نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،ع23 سنة 1968م.

ومن الملاحظ أن هاتين الدراستين كانتا كغيرهما من الدراسات التي تناولت الفكر الصوتي عند ابن جني، فقد ركزتا على جهود ابن جني في مجال علم الأصوات العام.

فأردت بهذا البحث أن أتناول جهود ابن جني في المجال الآخر، وهو مجال علم الأصوات التركيبي.

خضت غمار البحث، وتجشمت الصعاب للإجابة أو محاولة الإجابة عن إشكالية البحث، والوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوة منه؛ فبنيت الدراسة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

فالتمهيد أردته مدخلا عاما لموضوع الصوتيات، تناولت فيه التعريف بعلم الأصوات العام وبعلم الأصوات التركيبي وقضايا كل علم، ثم العلاقة بين العلمين، وجهود العلماء القدماء في مجال علم الأصوات، وأين تدرج هذه الجهود في الدرس الصوتي الحديث.

أما الفصل الأول فجعلته في مبحثين، تناولت في المبحث الأول نبذة عن حياة ابن جني، فتطرقت فيها إلى نسبه ومولده وصفاته وأولاده، ثم شيوخه وتلامذته، ثم دراساته وعلمه، ثم مؤلفاته ووفاته. وفي المبحث الثاني تناولت كتبه مدونة البحث، الخصائص وسر صناعة الإعراب والمنصف؛ فقمت بقراءة في كل كتاب، تطرقت فيها إلى عنوانه وهدف تأليفه ومباحثه ومنهجية ابن جني فيه.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لنظرية الفونيم والمقطع، فتناولت في المبحث الأول نظرية الفونيم، فتطرقت إلى مفهومه وأنواعه، والفرق بينه وبين الألوفون وبين الصوت والحرف، ثم بحثت عنه عند ابن جني. وفي المبحث الثاني تناولت المقطع فتطرقت إلى مفهومه ومكوناته وأنواعه، وخصائص النظام المقطعي العربي، والمقطع في الدراسات العربية القديمة، ثم بحثت عن المقطع عند ابن جني.

أما الفصل الثالث فقد خصصته للمظاهر السياقية، فبحثت في المبحث الأول عن النبر مفهومه ودرجاته ووظائفه، والنبر عند ابن جني. وفي المبحث الثاني عن التنغيم مفهومه ودرجاته ووظائفه، وماذا قال عنه ابن جني. وفي المبحث الثالث تطرقت إلى الفواصل الصوتية وهي: الوقف والسكتة والاستراحة، ثم تطرقت إلى موضوع الوقف عند ابن جني.

أما الفصل الرابع فجعلته خاصا بالتغيرات الصوتية، فتناولت فيه المماثلة والمخالفة في المبحث الأول، فتطرقت فيه إلى مفهومهما وأنواعهما، ثم بحثت عنهما في دراسات ابن جني. والقلب المكاني والتوافق الحركي في المبحث الثاني، فتطرقت إلى مفهومهما، ثم بحثت عنهما في مدونة البحث. والإعلال والإبدال والإدغام في المبحث الثالث، فتطرقت فيه إلى مفهوم كل منها، ثم كيف علل لها ابن جني.

أما الخاتمة فقد ضمت مجموع النتائج المتوصل إليها خلال هذه الدراسة.

هذا فيما يتعلق بخطة البحث، أما عن المنهج المتبع فقد اخترت لهذه الدراسة من مناهج البحث الحديثة والمختلفة: المنهج الوصفي الذي ساعدني على وصف الظواهر والقضايا الصوتية التي تناولتها، من خلال الدرس الصوتي الحديث، ثم مقابلة هذا الوصف بما جاء به ابن جني بعد استخراجه ووصفه وتحليله.

أما عن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث، فبالإضافة إلى مدونة الدراسة هناك العديد من المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها، والتي يمكننا تقسيمها إلى قسمين هما:

– مصادر ومراجع خاصة بقضايا الصوتيات: ومن أهمها علم الأصوات لـــ كمال بشر، ودراسة الصوت اللغوي لـــ أحمد مختار عمر، والدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث لـــ حسام البهنساوي،...

– مصادر ومراجع خاصة بالسير والتراجم: ومن أهمها نزهة الألباء لـــ ابن الأنباري، وبغية الوعاة لـــ السيوطي، ووفيات الأعيان لـــ ابن خلكان، ومعجم الأدباء لـــ ياقوت الحموي، ...

قد واجهتني في طريق البحث بعض الصعوبات تكاد تكون كلها ضمن الظروف المحيطة، تمكنت بفضل الله وقوته أن أجتازها لأصل بهذا البحث إلى ما هو عليه، فلله الحمد والشكر.

ومن فضل الله عَلَيَّ أيضا، أن هيَّأ لي مشرفا كريما فاضلا أ.د/أبو بكر حسيني، الذي وجَّه وتابع وقوَّم البحث. جعل الله عمله هذا في ميزان حسناته، ووفقه إلى ما يحبه ويرضاه.

ولا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي يد العون لإنجاز هذا البحث، برأي أو تصويب أو توجيه أو دلالة على كتاب أو إعارة له أو دعاء أو غير ذلك.

والله أسأل التوفيق والسداد والحمد لله رب العالمين.

سميرة بن موسى

تقرت في: 2012/04/10 م

تمهيـــــــــد

إن الاهتمام بالصوت اللغوي ليس أمرا جديدا، إنما هو قديم قدم النطق الإنساني. فقد اهتمت الأمم القديمة من الهنود واليونان بدراسة أصوات لغاتهم، بوصفها وتحديد مخارجها وطبيعتها وخصائصها. وقد شابهت الأمة العربية من بعد هذه الأمم في مثل هذا الاهتمام، النابع عند العرب من الضرورة الملحة لدراسة أصوات اللغة العربية، حفاظا على القرآن الكريم وكيفية قراءته قراءة سليمة لا يشوبها اللحن، وبذلك كان لعلماء العربية القدماء جهودا طيبة في مجال الأصوات، إلا أن دراستهم للأصوات لم يخصص لها مجالا خاصا، إنما كانت ضمن دراسات أخرى، نحوية أو صرفية أو بلاغية أو غيرها. حتى جاء العالم الفذ أبو الفتح عثمان بن جني ووضع لدراسة الأصوات مؤلفا مستقلا، واصطلح على دراسة الأصوات مصطلح(علم الأصوات)، و بهذا كان ابن جني أول من سن هذا المصطلح على مثل هذه الدراسة.

وبعد التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهدته الإنسانية ومازالت تشهده ، والذي مس كل جوانب الحياة والعلوم، تطورت نظرة العلماء للصوت الإنساني، وتطورت معها طرق وأساليب دراسته، فأصبح الصوت يدرس لذاته ومن أجل ذاته لا لغاية أخرى، ويدرس تحت راية كبيرة تسمى: (علم الأصوات) والذي يعرَّف على أنه : « العلم الذي يدرس العناصر الصوتية من حيث نطقها وانتقالها وإدراكها»[1]. وتنطوي تحت هذه الراية عدة فروع[2] لهذا العلم، يدرس كل فرع الصوت الإنساني من جانب من جوانبه، وبذلك ظهرت هذه الفروع، وأهمها ثلاثة وهي:

[1]– محمد التو نجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، مجـ 1/ص422.

[2]– من هذه الفروع: علم الأصوات المقارن، وعلم الأصوات التاريخي، وعلم الأصوات المعياري، وعلم الأصوات التجريبي. يراجع: زين كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، دط، 1429هـ/2008م، ص21.

1 – علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي[1]:

وهو أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدما، وأكثرها حظا من الانتشار في الدراسات اللغوية كلها. ويرجع السر في ذلك إلى وظيفة هذا الفرع، وإلى طبيعة الميدان المخصص له، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر في أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الأعضاء ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق، منتهيا إلى تحليل ميكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم.[2]

وعلم الأصوات النطقي هو: « ذلك الفرع من علم الأصوات الذي يهتم بدراسة حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام، أو الذي يعالج عملية إنتاج الأصوات اللغوية وطريقة هذا الإنتاج ».[3]

وقد جاءت الدراسات الصوتية القديمة مبنية على الجانب النطقي في دراسة الأصوات، ونطقها مرة بعد أخرى، وتحديد نقاط النطق وتعيين حركات أعضاء النطق.

2– علم الأصوات الأكوستيكي[4] أو الفيزيائي:

وهذا الفرع من علم الأصوات حديث العهد نسبيا، وهو يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي.[5]

ويعرَّف على أنه: « العلم الذي يدرس الأصوات بعد نطقها من ناحية فيزيائية، ويعنى بحركة مصدر الصوت وسعة الذبذبة والموجة الصوتية والرنين، أي من حيث انتقالها إلى الأذن وموجاتها والعوامل المؤثرة في ذلك».[6]

---

[1]– الفسيولوجي نسبة إلى علم الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء)، وهو علم حديث أفاد علماء الأصوات في دراسة الجانب النطقي للأصوات.

[2]– كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة مصر، دط، 2000 م، ص46–47.

[3]– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، مصر، دط، 1418 هـ/ 1997م، ص98.

[4]– الأكوستيكي نسبة إلى Acoustics وهو فرع من الفيزياء. يراجع: كمال بشر،علم الأصوات، ص49.

[5]– المرجع نفسه، ص48.

[6]– محمد التو نجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، مجـ 1/ ص423.

وقد ظهر علم الأصوات الفيزيائي نتيجة تطور العلوم الطبيعية والفيزيائية، والتي أفادت علم الأصوات بوسائل متطورة تساعد على دراسة الصوت دراسة فيزيائية، فتقوم بتحليل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء.

3-علم الأصوات السمعي:

وهو أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق، ويعرَّف على أنه: « علم يعني بماهية إدراك الأصوات وبالعملية السمعية، أي يدرس جهاز السمع».[1]

وعلم الأصوات السمعي ذو جانبين هما:

- جانب عضوي فسيولوجي: ووظيفته النظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع، وفي ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات.

- جانب نفسي: يركز جهوده على البحث في تأثير هذه الذبذبات ووقعها على أعضاء السمع (الداخلية منها بوجه خاص)، وفي عملية إدراك السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك. وهذه مرحلة نفسية خالصة وميدانها الحقيقي هو علم النفس.[2]

لقد شهد الدرس الصوتي تطورا وتقدما مدهشا بفضل الآلات والأجهزة المتطورة، حيث استطاع العلماء التوصل إلى حقائق صوتية جديدة لم تكن معروفة من قبل، واكتشفوا أن مادة بحثهم؛ أي الصوت اللغوي له جوانب يقتضي كل جانب منها النظر إليه بأسلوب يختلف عن الآخر.

لذلك رأوا أن يوزعوا الدراسة الصوتية على فرعين اثنين هما:

الفونيتيك (Phonitics)، والفنولوجيا (Phonology)

أما **الفونيتيك:** فهو ما يعرف عند أغلب العلماء بـــ: (علم الأصوات العام) أو بـــ: (علم الأصوات اللغوية)، وهو « العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية البسيطة كوحدات صوتية مجردة منعزلة عن السياق الصوتي التي ترد فيه، فيقوم بدراسة

---

[1]- المرجع السابق، مجـــ1/ص423.

[2]- كمال بشر، علم الأصوات، ص 42-43.

الجهاز النطقي عند الإنسان ويسجل الحركات العفوية التي يقوم بها هذا الجهاز أثناء النطق، وكذلك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات».[1]

و**الفونولوجيا:** مصطلح له عدة ترجمات من بينها: علم الأصوات اللغوية الوظيفي، وعلم الأصوات التنظيمي، وعلم وظائف الأصوات، وعلم الأصوات التشكيلي، وعلم الأصوات الوظيفي أو الوظائفي، وعلم الأصوات التركيبي.[2]
ويسميه تمام حسان علم التشكيل الصوتي.[3]

ونحن نرى أن رغم كثرة الترجمات لهذا المصطلح وما دامت كلها تدور حول الوظيفة والتركيب. فهي صالحة لتدل على هذا العلم، لأنه العلم الذي يبحث في وظائف أصوات اللسان البشري، ووظيفة الصوت لا تظهر إلا في التركيب أو التشكيل أو التنظيم في مجموعات صوتية ذات دلالة.

ويعرَّف هذا العلم على أنه:« العلم الذي يبحث في وظائف أصوات اللسان البشري من ناحية القوانين التي تعمل بموجبها، والدور الذي تقوم به في عملية التواصل اللساني، فهو لا يهتم بالناحية النطقية أو السمعية للأصوات بل يكرس اهتمامه لدراسة الفروقات الصوتية من حيث عملها في فهم الرسالة اللغوية».[4]

وتندرج تحت هذا العلم قضايا صوتية هامة مثل: الفونيم والمقطع، والمظاهر السياقية كالنبر والتنغيم والفواصل الصوتية، والتغيرات الصوتية كالمماثلة والمخالفة والإعلال والإبدال والإدغام والقلب المكاني والتوافق الحركي.

---

[1]– عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة القاهرة، مصر، دط، 1987م، ص101.

[2]– نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الأزاريطة الإسكندرية مصر، دط، 2000 م، ص123.

[3]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، دط، 1407هـ/ 1986م، ص139.

[4]– محمد التو نجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، مجـ1/ ص431.

ويعود الفضل في ظهور علم الفونولوجيا إلى مدرسة براغ[1]، والتي ذهبت إلى التمييز بين أصوات اللغة من حيث وظيفتها أو دلالتها، لأن اللغة لا تميز الصوت على أساس إنتاجه فقط، بل على أساس تميزه عن الأصوات الأخرى أيضا، ومن هنا فإن خصائص أي لغة تقوم على أساس التقابلات بين الأصوات التي تميزه عن أصوات اللغة الواحدة.[2]

ومن الملاحظ أن العلمين(Phonetics)علم الأصوات العام و(Phonology)علم الأصوات التركيبي مرتبطان أشد ارتباط.

فإذا كان علم الأصوات العام يقوم بجمع المادة الصوتية ووصفها على أساس عضوي أو فيزيائي، فإن علم الأصوات التركيبي يقنن ويبحث عن قيم هذه الأصوات ووظائفها في اللغة، وبالتالي يمكننا القول بأن هذين العلمين يكمّل أحدهما الآخر، والتفريق بينهما لا يعدو أن يكون في منهج أو أسلوب الدراسة وخطواتها فقط.

هذا فيما يتعلق بالدرس الصوتي عند المحدثين، أما إذا عدنا للدرس الصوتي عند القدماء وبحثنا عن جهودهم في هذا المجال، فنجد أن الدرس الصوتي قد لقي عناية كبيرة من طرف اللغويين والنحاة والمعجميين وعلماء التجويد والقراءات القرآنية والبلاغيين والفلاسفة، إلا أنهم لم يعرضوا لدراسة الأصوات بصورة مستقلة- كما سبق وذكرنا- وإنما تناولوها مختلطة بغيرها من البحوث الصرفية والنحوية والبلاغية وغيرها.ويمكننا أن نشير لبعض جهود العلماء القدماء في النقاط التالية:[3]

---

[1]- مدرسة براغ مصطلح يدل على مجموعة من الباحثين المتفقين فكريا، والذين بدؤوا يعقدون اجتماعات للبحث المنظم منذ 1926م، وقد انتهجوا أسلوبا خاصا لعلم اللغة الوصفي بدعوة دراسة اللغة بطريقة جديدة. يراجع: جيفري سامبسون، المدارس اللغوية التطور والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ص106.

[2]- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، دار الرشاد، ط3، 1421 هـ/2001م، ص106.

[3]- ينظر: نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، دط، دت، ص37-47.

1- قام القدماء بتطوير الأبجدية السامية التي أخذت عنها الأبجدية العربية، إذ كانت الأبجدية السامية مكونة من اثنين وعشرين حرفا، فلاحظوا أن في العربية أصواتا غير موجودة في الأبجدية السامية وهي: (التاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين)، فوضعوا لها رموزها المعروفة الآن.
2- وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية رتبت أصواتها بحسب مخارجها ابتداء من أقصاها في الحلق وصولا إلى الشفتين.
3- توصل العرب القدماء إلى العناصر الثلاثة المؤثرة في عملية النطق وهي:
   - وجود جسم في حالة تذبذب.
   - وجود وسط ناقل للتذبذب.
   - وجود مستقبل لتلك الذبذبات.

   وكان هذا على الرغم من عدم توفر الأجهزة الحديثة لدى القدماء.
4- التفت القدماء إلى جهاز النطق ولا سيما ابن جني، وعرفوا كل عضو وسموه باسمه: الرئتان، والحنجرة، والحلق، واللسان، والشفتان. وتحدثوا عن مخارج الأصوات وصفاتها، وحركة الوترين أثناء النطق.
5- وضع العلماء القدماء العديد من المصطلحات، والتي لا تزال قائمة في الدرس الصوتي الحديث ومن ذلك:(علم الأصوات، والهمس، والجهر، والشدة، والرخاوة، والإطباق والانفتاح...).

الفصل الأول

ابن جني وكتبه: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمنصف.

- توطئة
- المبحث الأول: ابن جني ترجمة حياته
- المبحث الثاني: مدونة الدراسة: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمنصف

توطئـــــــة:

لقد عرف القرن الرابع الهجري تحولا غير مشهود على مستوى الحركة النحوية، وهو ظهور طائفة من النحاة تتبنى المذهبين البصري والكوفي معا. بحيث تختار وتنتقي أفضل ما عند المذهبين لتقدمه وتدافع عنه مع تقديم آراء خاصة بهم لا تنتمي لأي من المذهبين، غير أن أغلب هؤلاء النحاة أبدوا نزعتهم إلى المذهب البصري، وقد سمي هذا المذهب الجديد فيما بعد بالمذهب البغدادي، أو المدرسة البغدادية. وكان من أبرز نحاته النحوي الشهير" ابن جني" .

وفيما يلي ترجمة لحياته، فيها ذكر لنسبه ومولده وصفاته وأولاده، وذكر لشيوخه وبعض تلامذته، وأهم مؤلفاته. وقراءة سريعة في كتبه مدونة الدراسة (الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمنصف).

المبحث الأول: ابن جني ترجمة حياته

1- نسبه، ومولده، وصفاته، وأولاده:[1]

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، الشهير بابن جِنّي، بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء مشددة عالم نحوي ذو شأن كبير، وصاحب تصانيف مشهورة ومفيدة، كان أبوه "جني" مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي[2]، ولذلك ينتسب ابن جني أزديا بالولاء. ولا يعرف عن أبيه قبل مجيئه الموصل شيء ولا عن نوع عمله عند سليمان بن فهد.

ويرى ابن جني أن الله عوضه عن نسبه علما إليه ينسب، وبه يشرف فقال في جملة أبيات:

---

[1]- ينظر ترجمة ابن جني في:

– ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحـ: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط3، 1405 هـ /1985م، ص244.

– ياقوت الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحـ: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1933م، ج4/ص1585.

– ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحـ: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، دط، دت، مجـ3/ ص246.

– السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت لبنان، ط2، 1399هـ/1979م، ج2/ص132.

– ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحـ: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 1406هـ /1986م، مجـ4/ص494.

–رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في النحو واللغة والفقه، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 1993م، ج3/ص96.

– كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة مصر، ط4، دت، ج2/ص244.

[2]- يشير محقق كتاب الخصائص: محمد علي النجار، إلى أن المراجع لم تفصح عن أمره، ولا عن مكانته في الموصل. يراجع: مقدمة الخصائص، دار الكتب المصرية، مصر، دط، 1376هـ/1957م، ج1/ص5.

فَإِنْ أُصبْحُ بِــلا نَسَــبٍ فَعِلْمي في الوَرَى نَسَبــي
عَلَى أَنِّـــي أَؤولُ إِلَى قُـــرومٍ ســادَةٍ نُجُــبِ
قَيـــاصِرَةٍ إِذا نَطَقــوا أَرَمَّ الدَهْــرَ ذو الخُطُبِ
أُولاكَ دَعــا النَبِي لَهُــمْ كَفَى شَرَفًـــا دُعاءُ نَبِي

وكان ابن جني يذكر أن اسم أبيه "جِنِّي" بالرومية يعني "فاضل" بالعربية، وهذا لأن كلمة جني تعني في العربية: فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مخلص.

ولد ابن جني بالموصل وفيها نشأ وتلقى مبادئ التعلم، أما عن سنة ولادته فقد تضاربت الآراء حولها، فبعضهم قال: قبل الثلاثين والثلاثمائة[1]، وبعضهم قال: قبل الثلاثمائة[2]، وبعضهم لم يذكرها أصلا[3]. وهناك من رجح أنها بين إحدى وعشرين وثلاثمائة، واثنتين وعشرين وثلاثمائة[4]، وهذا اعتمادا على أن ابن جني توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة و كان عمره آنذاك سبعين سنة.

ويقال أن ابن جني كان أعورا، وفي ذلك يقول في عتب صديق له:

صُدودُكَ عَنِّي وَلا ذَنْبَ لي يَـــدُلُ عَلى نِيَّةٍ فـــاسِدَة
وَقَدْ وَحَيــاتُكَ مِما بَكَيْــتُ خَشَيْتُ عَلَى عَيْني الواحِــدَة

وَلَوْلا مَخــافَةَ أَنْ لا أَراكَ لَما كانَ في تَرْكِها فـــائِدَة

ومن بعض صفاته أيضا، أنه كان يميل بشفتيه ويشير بيديه ليؤكد المعنى ويوضحه، وأنه كان في لسانه لكنة. وأنه كان رجل جد وصدق في قوله وعمله، وأنه كان عف اللسان والقلم.[5]

---

[1] – ابن النديم، الفهرست، تحـ: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2،1422 هـ/2002م، ص138. وياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1585. وابن خلكان، وفيات الأعيان، مجـ4/ ص246. والسيوطي، بغية الوعاة، ج2/ص132.

[2] – ابن العماد، شذرات الذهب، مجـ 4/ ص494. وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج2/ ص244.

[3] – ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص244.

[4] – خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ص96.

[5] – ينظر: محمد علي النجار، مقدمة الخصائص، ج1/ص11–12–13.

وكان لابن جني من الولد علي وعال وعلاء، وكلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسني الخط كما قال ياقوت في معجمه.[1]

2-شيوخه:

تلقى ابن جني مبادئ العلوم بالموصل، فأخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش[2]، وقرأ الأدب على يد أبي علي الفارسي(ت 377هـ)[3]، كما أخذ عن كثير من رواة الأدب واللغة ومن هؤلاء أبو بكر بن محمد بن حسن المعروف بابن مقسم. وكان من القراء يروي لثعلب (ت 291 هـ)، ويروي عن أبي الفرج الأصفهاني (ت356 هـ). كما كان يروي عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم السجستاني (ت250 هـ أو 255 هـ)، وممن يروي عنه أيضا محمد بن سلمة عن أبي العباس المبرد(ت285هـ)، وكذا عبد الله الشجري من الأعراب الفصحاء الذين لم تفسد لغتهم.[4]

وقد ذكر ابن خلكان أن ابن جني فارق أبا علي الفارسي وقعد للإقراء بالموصل، فأجتاز بها شيخه أبو علي، فرآه في حلقته والناس حوله يشتغلون عليه فقال: « له زَبَّبْتَ وأنت حِصْرِم»[5]. فترك حلقته وتبعه ولازمه حتى تمهر[6]. إلا أن صاحب معجم الأدباء يذكر أن ابن جني صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة. وكان السبب في صحبته له أن

---

[1]– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1589.

[2] – هو أحمد بن محمد أبو العباس الموصلي النحوي كان إماما في النحو، فقيها فاضلا، عارفا بمذهب الشافعي،أقام ببغداد، يراجع: السيوطي، بغية الوعاة، ج3 /ص389.

[3]–هو أبو علي الحسن بن أحمد، نشأ بفسا من بلاد فارس ثم ورد بغداد فأخذ النحو عن الزجاج ومبرمان وابن السراج وابن الخياط وغيرهم، رفع من شأن المذهب البصري. يراجع: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة مصر، ط2، دت، ص200–201.

[4]– خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ ص95.

[5]– الحصرم: هو أول العنب وما يزال العنب مادام أخضرا حصرما، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تحـ: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث للنشر، الجزائر، ط1، 2008م، ج3/ص 190. مادة (ح ص ر م).

[6]– ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3 /ص246.

أبا علي اجتاز بالموصل فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يقرئ النحو وهو شاب، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها، فقال له أبو علي: « زببت قبل أن تحصرم»، فسأل عنه فقيل له، هذا أبو علي الفارسي فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف، ويقال أن المسألة التي سأل عنها أبو علي ابن جني هي مسألة قلب الواو ألفا في مثل: (قام وقال)[1].

ويظهر أنه كان لابن جني رحلة في طلب العلم. فيقول في إجازة أثبتها ياقوت في معجمه «... و ما صح عنه – أيده الله – من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي – رحمهم الله– وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها...».[2]

هذا وقد كان لابن جني علاقة خاصة بأبي الطيب المتنبي[3]، فقد صحبه دهرا طويلا وقرأ عليه ديوانه وشرحه ونبه على معانيه وإعرابه.

وكان المتنبي يحترم ابن جني ويجله ويقول فيه: « هذا رجل لا يعرف قدره كثيرا من الناس »[4]، ويقول أيضا: « ابن جني أعرف بشعري مني»[5].

وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: « سلوا صاحبنا أبا الفتح» .[6]

---

[1]– ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص245. وياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1589.

[2]– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص 1599.

[3]– هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي ولد بالكوفة سنة (303هـ) ونشأ بالشام، قتل في طريقه لبغداد مع ابنه محمد وغلامه مفلح سنة (354 هـ) . يراجع: ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص 219.

[4]– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1588.

[5]– ابن العماد، شذرات الذهب، مجـ 4/ص494.

[6]-خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج 3 /ص98.

3- تلامذته:

لما مات أبو علي الفارسي خلفه ابن جني وتصدر مجلسه ببغداد ودرَّس فيها النحو، فاجتمع الناس حوله لينتفعوا بعلمه ويتخرجوا على يديه، فخلَّف علماء أجلاء ومن أشهرهم نذكر:[1]

- أبو الحسن السمسمي (ت 415هـ).[2]
- عبد السلام البصري (ت429هـ).[3]
- أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني(ت 442هـ)[4]

4-ابن جني النحوي الصرفي:

كان ابن جني من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو[5]، والسبب في ذلك ما أوردناه في قصة التقائه بأستاذه أبي علي الفارسي حين سأله عن مسألة قلب الواو ألفا، وهي مسألة في التصريف وتقصير ابن جني أدى به بعد ذلك إلى اعتنائه بالتصريف أحسن اعتناء، حتى نبغ فيه ولم يصنف أحد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاما منه.[6]

وابن جني – كما سبق أن ذكرنا– كان ممن مزجوا بين المذهبين البصري والكوفي، أي كان ممن نسبوا إلى المذهب البغدادي، إلا أنه كان ينزع إلى المذهب البصري كشيخه أبي علي، فهو يجري في كتبه ومباحثه على أصول المدرسة البصرية ويدافع عنها.

---

[1]– ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص246. والسيوطي، بغية الوعاة، ج2/ص132.

[2]– هو أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي، كان لغويا ثقة، توفي سنة (415 هـ). يراجع: ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص248 .

[3]– هو أبو أحمد عبد السلام بن الحسن بن محمد البصري، كان لغويا فاضلا قارئا للقرآن وعالما بالقراءات، ولد سنة (329 هـ) . يراجع: ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص247– 248.

[4]-هو أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني كان نحويا فاضلا وكان ضريرا، أخذ النحو عن ابن جني.يراجع:ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص256.

[5]– السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ص132.

[6]– ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص244.

ولشغفه بالعلم وطلب العلم نجده يأخذ عن كل الشيوخ سواء أكانوا بصريين أو غير ذلك، ولهذا نجده كثير النقل عن ثعلب والكسائي[1] وأمثالهما.[2]

5-ابن جني الأديب الشاعر:

لم يكن ابن جني إماما في النحو والصرف فقط، بل كان من أئمة الأدب أيضا، له أشعار حسنة.[3] وقد ذكره الباخرزي في دمية القصر فقال: « ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ما له. ولا سيما في علم الإعراب فقد وقع منها على ثمرة الغراب، ومن تأمل مصنفاته وقف على بعض صفاته. فوربي إنه كشف الغطاء عن شعره، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثية في المتنبي».[4]

وبالإضافة إلى الأشعار لابن جني خطبة نكاح من إنشائه أثبتها ياقوت الحموي في معجمه،[5]

والخطبة تنبئ بنفسها على ما فيها من جزالة اللفظ وبلاغة الأسلوب وجماله.

---

[1]- ثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحي مولى بن شيبان ، ولد ببغداد تزعم رياسة النحو للكوفيين، توفي ببغداد من صدمة دابة له في الطريق لم يسمع وقع حوافرها لصممه، سنة (291هـ). والكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة مولى بن أسد، فارسي الأصل نشأ بالكوفة وتعلم النحو على كبر، تقوى المذهب الكوفي على يده، وبدأ يناهض المذهب البصري، توفي سنة 189هـ. يراجع: محمد الطنطاوي، نشأة النحو، ص116- 118 وص120- 121.

[2]- خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ص100.

[3]- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ص246. وابن العماد، شذرات الذهب، ج4/ص494.

[4]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1587.

وأول المرثية:

غاضَ القَريضُ وأوْدَت نَضْرَةُ الأَدَبِ وصَوَحتْ بَعَدَ رَيِّ دَوْحَة الكُتُبِ

والقريض :الشعر، والجريض: الغصة أو تبلع الريق، ومن أمثال العرب: حال الجريض دون القريض. يراجع: ابن منظور، لسان العرب، ج2/ص232. مادة (ج ر ض).

[5]- ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1590.

6-آثاره ومؤلفاته:

أثرى ابن جني المكتبة العربية بمصنفاته الكثيرة والمفيدة والتي بلغت نحو خمسين مؤلفا، شُهد لها بقيمتها الكبيرة. فها هو الشيخ محمد الطنطاوي يقول فيها: « ومؤلفاته تبهر الأفكار، فإنها مع كثرتها غاية في الإتقان... »[1]وقد تنوعت علوم مؤلفاته فألف في اللغة وفي النحو وأصوله، وفي التصريف، وفي الأدب والشعر، وفي الفقه والقراءات.

وقد ذكر ابن جني أسماء بعض كتبه في إجازة لتلميذه أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر سنة (384هـ) . أي قبل وفاته بنحو ثماني سنوات، وقد جاء في أولها: « بسم الله الرحمان الرحيم: قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر- أدام الله عزه- أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري- أيد الله عزه- عنده منها... »[2] ثم ذكر الكتب التالية:[3]

1- الخصائص.
2- التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري.
3- سر الصناعة.
4- تفسير تصريف المازني.
5- شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها.
6- شرح المقصور والممدود عن السكيت.
7- تعاقب العربية.
8- تفسير ديوان المتنبي الكبير.
9- تفسير معاني ديوان المتنبي.
10- اللمع في العربية.

---

[1]- محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص202.

[2]- ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1597-1600.

[3]- هذه الكتب مرتبة كما ذكرها ابن جني في إجازته وكما ذكرها ياقوت في معجمه.

11- مختصر التصريف المشهور بالتصريف الملوكي.
12- مختصر العروض والقوافي.
13- الألفاظ المهموزة.
14- المقتضب في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي.
15- تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب (ذكر أنه لم يتممه).
16- تأييد تذكرة أبي علي.
17- المحاسن في العربية (ذكر أنه فقد منه).
18- النوادر الممتعة في العربية (ذكر أنه فقد منه).
19- الخاطريات.

هذا وقد ذكر ياقوت الحموي أن لابن جني كتبا لم تذكر في هذه الإجازة ومنها:

1- المحتسب في شرح الشواذ.
2- تفسير أرجوزة أبي نواس.
3- تفسير العلويات(أربع قصائد للشريف الرضي).
4- البشرى والظفر(صنعه لعضد الدولة).
5- رسالة في مد الأصوات ومقادير المدات (كتبها لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري).
6- المذكر والمؤنث.
7- المنتصف.
8- مقدمات أبواب التصريف.
9- المغرب في شرح القوافي.
10- الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام.
11- الوقف والابتداء.
12- الفرق.
13- المعاني المجردة.

14- الفائق.
15- الخطيب.
16- مختار الأراجيز.
17- ذي القد في النحو.
18- شرح الفصيح.
19- شرح الكافي في القوافي.

وغيرها من الكتب الحسان والتي للأسف لم يصل إلينا منها إلا القليل.

7-وفاته:[1]

توفي أبو الفتح عثمان بن جني يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة للهجرة(392هـ) ببغداد، وفيها دفن رحمه الله تعالى. رحل ابن جني عن الدنيا وخلف مؤلفات تتحدث عنه وعن علمه الجم وبصيرته النافذة التي جعلته من فطاحلة اللغة والنحو.

[1]- ينظر:- ابن الأنباري، نزهة الألباء ،ص 246.
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ص1585.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ص246.
- السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ص132.
- ابن العماد، شذرات الذهب، ج4/ص495.
- خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ص100.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج2/ ص245.

المبحث الثاني: مدونة الدراسة:الخصائص وسر صناعة الإعراب والمنصف

أولا: الخصائص[1]:

1- عنوانه:

ما إن يذكر كتاب الخصائص حتى يتبادر إلى الذهن –ودون أدنى تفكير– اسم مؤلفه ابن جني، وبالمثل إذ ذكر ابن جني فإنه يذهب بالفكر إلى كتابه الشهير الخصائص. فهو بحق من أجل الكتب التي أفادت بها قريحة هذا النحوي الشهير المتقدمين، وأذهلت عقول المتأخرين من الدارسين الراغبين في استنباط خصائص وأحكام هذه اللغة، ومن أغلب الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية والنحوية وغيرها، ونقول من أغلب الجوانب لأن كتاب الخصائص حقا قد ألم بجل جوانب اللغة من نحوها وصرفها وأصواتها ودلالتها؛ حتى أننا نجد الدارسين يتضاربون في تصنيف مادته. فهناك من يقول بأنه كتاب في التصريف، وهناك من يقول بأنه كتاب في أصول النحو. ونحن نقول بأنه موسوعة لغوية حوت الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ودراسات أصول النحو. وبهذا حقق هذا الكتاب شهرة واسعة لمؤلفه، حتى بات يستقطب الدارسين الشغوفين باستنباط مادته وتفسيرها وتصنيفها قديما وحديثا.

أما عن عنوانه فقد تداولت له تسميتان أحدهما أشهر من الأخرى، أما الأشهر فهي "**الخصائص**" وهذه نجدها في أغلب كتب النحو والتراجم التي ذكرت ابن جني ومؤلفاته.

أما الأخرى فهي " **الخصائص في النحو**" وهذه قليلة الورود في كتب النحو والتراجم.

[1]- نشير هنا إلى أننا اعتمدنا في دراستنا على نسختين للخصائص، الأولى بتحقيق محمد علي النجار استفدنا من مقدمة المحقق، والثانية بتحقيق عبد الحكيم بن محمد؛ فإذا ذكرنا مقدمة الخصائص نقصد به الأولى، وإذا ذكرنا الخصائص نقصد به الثانية.

وجدير بالذكر أن نقول أن ابن جني عندما ذكر مؤلفاته في إجازته لتلميذه قال كتاب الخصائص، ولم يخصص القول بـــ: الخصائص في النحو، أو في اللغة، أو في الصرف، أو في غيرها. فالخصائص يعني بها خصائص العربية كما اتضح من كلامه التالي: «... واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر، وأعوده عليه بالحيطة والصون. وآخذه له من حصة التوقير والأون، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة».[1]

2- الهدف من تأليفه:

أهدى ابن جني كتاب الخصائص للملك بهاء الدولة البويهي[2]، وهذا يظهر في قوله: «... هذا – أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيد بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة، وأدام ملكه ونصره، وسلطانه ومجده، وتأييده وسموه، وكبت شانئه وعدوه– كتاب لم أزل على فارط الحال، وتقادم الوقت، ملاحظا له، عاكف الفكر عليه، منجذب الرأي والروية إليه. وادا أن أجد مهملا أصله به. أو خللا أرتقه بعمله».[3]

وقد بين ابن جني من خلال مقدمته للكتاب سبب تأليفه له. ويمكننا أن نحصر هذه الأسباب في النقاط التالية:

أ– أنه لم ير أحدا من علماء المذهبين البصري والكوفي قد ألف في علم أصول النحو:

« ...وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه ».[4]

---

[1]– ابن جني، الخصائص، تحـــ: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، مصر، دط، دت، ج1/ص 16.

[2]– تولى الملك في بغداد مع الخضوع للخليفة العباسي بين (379هـــ و403هـــ) .يراجع: محمد علي النجار، مقدمة الخصائص،ج1/ ص69.

[3]– ابن جني، الخصائص، ج1 /ص16.

[4]– المصدر نفسه، ج1/ ص17.

ب–أنه رأى أن ما ألف في علم أصول النحو لم يكن كافيا: « فأما كتاب أصول أبي بكر[1] فلم يلمم فيه بما نحن عليه، إلا حرفا أو حرفين في أوله، وقد تعلق عليه به، وسنقول في معناه. على أن أبا الحسن قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيبا. إذا أنت قارنته بكتابنا هذا علمت بذاك أن نبنا عنه فيه وكفيناه كلفة التعب به. وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوقة إلينا المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا».[2]

ج– أنه أراد تلبية طلب البعض من تلامذته التأليف في هذا العلم: « ثم إن بعض ما يعتادني ويلم لقراءة هذا العلم بي، ممن آنس بصحبته لي، وارتضى حال أخذه عني، سأل فأطال المسألة، وأكثر الحفاوة والملاينة، أن أمضي الرأي في إنشاء هذا الكتاب، وأوليه طرفا من العناية والانصباب».[3]

3- **<u>مباحثه:</u>**

تضمن كتاب الخصائص مائة واثنتين وستين بابا، بداية بـــ (باب القول على الفصل بين الكلام واللغة) وصولا إلى (باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول).

وقد تنوعت مواد هذه الأبواب حتى تكاد تغطي جل علوم العربية ولهذا عد كتاب الخصائص موسوعة في علم العربية.

وحسبنا هنا أن نذكر أهم العلوم التي تضمنتها أبواب الكتاب وهي:

أ– **علوم اللغة:** وهذا يظهر في بداية الكتاب في (باب القول على الفصل بين الكلام واللغة)، وفي (باب القول على اللغة وما هي)، وفي (باب القول على النحو)، وفي

[1]– يقصد به:أبو بكر محمد بن السري المعروف بالسراج، كان من أئمة النحو المشهورين، أخذ عن أبي العباس المبرد، له مصنفات حسنة منها كتاب الأصول، توفي سنة(316) هـــ. يراجع: ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص 186.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج1 /ص18.

3 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(باب القول على الإعراب)، وفي (باب القول على البناء)، وفي (باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟).[1]

ب- **علما النحو والصرف:** أولى ابن جني هذين العلمين اهتماما كبيرا، فكان لهما حظ وافر في الكتاب، ونلاحظ ذلك مثلا في (باب في شجاعة العربية) والذي تناول فيه ظاهرة الحذف، وظاهرة التقديم والتأخير، والفصل والتحريف.[2] وفي (باب في إضافة الاسم إلى المسمى والمسمى إلى الاسم)، وفي (باب في تسمية الفعل)[3]، وفي (باب دور الاعتلال)، وفي (باب في الاعتلال لهم بأفعالهم)[4]، وفي (باب في الغرض من مسائل التصريف)، وفي (باب في تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية)، وفي (باب الاشتقاق الأكبر)[5].

ج- **البلاغة:** ومنها: (باب في الفرق بين الحقيقة والمجاز)، و(باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة).[6]

د- **علم الأصوات:** في (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وفي(باب الساكن والمتحرك)،[7]وفي(باب في كمية الحركات)، وفي(باب في مطل الحركات)، وفي(باب في مطل الحروف)، وفي (باب الإدغام الأصغر).[8]

ه- **علم أصول النحو:** والذي كان الهدف الأساسي من تأليف كتاب الخصائص على حد قول ابن جني فقد توزعت مواضيعه على أبواب الكتاب وأجزائه. ومن هذه الأبواب نذكر: (باب في تقاود السماع وتقارع الانتزاع)، (باب في تعارض السماع

---

[1]- من أبواب الجزء الأول للخصائص.

[2]- من أبواب الجزء الثاني للخصائص.

[3]- من أبواب الجزء الثالث للخصائص.

[4]- من أبواب الجزء الأول للخصائص.

[5]- من أبواب الجزء الثاني للخصائص.

[6]- من بواب الجزء الثاني للخصائص.

[7]- من أبواب الجزء الثاني للخصائص.

[8]- من أبواب الجزء الثالث للخصائص.

والقياس)، (باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب)[1]،(باب في الامتناع من تركيب ما يخرج عن السماع)، (باب في الشيء يسمع من الفصيح لا يسمع من غيره)[2]، (باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول). [3]

و- **مواضيع أخرى:** نجد أن ابن جني تناول مواضيع أخرى مثل رواية الشعر في باب (في صدق النقلة و ثقة الرواة والحملة)، وسقطات العلماء في(باب في سقطات العلماء)، ومسائل من علم الكلام في(باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية)، وكذلك ذكر فوائت كتاب سيبويه في(باب القول على فوائت الكتاب)، وفي (باب ذكر الأمثلة الفائتة للكتاب).[4]

4- منهجية ابن جني في كتابه الخصائص:

افتقدت أبواب الخصائص للترتيب والتبويب المنطقي أو الموضوعي، فقد جاءت الأبواب متفرقة. فقد نجده يتحدث في أبواب عن النحو مثلا؛ ثم في الأبواب الموالية عن أصول النحو؛ ثم يعود ويتحدث في الأبواب الموالية عن النحو، وهكذا. فالباحث عن أصول النحو مثلا عليه أن يتتبَّع الكتاب كاملا بابا بابا حتى يضمن أنه سيستخرج كل ما أفاد به ابن جني في هذا العلم.

وعمل ابن جني هذا لا ينقص من قيمة الكتاب شيئا. فهذه صفة الكتابة في ذلك الوقت؛ عدم الاعتماد على ترتيب منطقي. فتأتي الكتابات مجملة لكل العلوم، حاوية لكل شاردة وواردة تخص المجال الذي ألف فيه.

وإذا نظرنا في كتاب الخصائص نجد أن ابن جني كان ينظر في كتب الفقه وأصوله ويحتذي حذوها، وينتزع أصول النحو من مؤلفات النحاة وفصيح الكلام كما ينتزع الفقهاء

[1]- من أبواب الجزء الأول للخصائص.

[2]- من أبواب الجزء الثاني للخصائص.

[3]- من أبواب الجزء الثالث للخصائص.

[4]- من أبواب الجزء الثالث للخصائص.

أصول الفقه من علوم الشريعة، لذلك فإن أصول النحو العربي من سماع وقياس وإجماع والاستدلال بها لتثبيت الأحكام وتقعيد القواعد هو محو التأليف فيه.[1]

وقد تميز منهج ابن جني في كتابه بعدة صفات نذكر منها: [2]

- كان ابن جني يذكر تعدد الوجوه ويرجح الأصوب، ويذكر الخلافات ويرجح الأجدر، وقد يحكم بالأخذ بها جميعا ويبرر ذلك بالتعليل ويدعمه بالدليل.
- لم يقتصر ابن جني على الجمع والاحتذاء بغيره في جمع مادته وتدوينها بل أضاف العديد، ووسع القول، واستحدث الكثير.
- نجح ابن جني في عقد باب خاص للإجماع وتكلم عنه فذكر أنواعه ومثل له.[3]
- كما نجح أيضا في فتح باب الاجتهاد في إجازته مخالفة الإجماع إذا خولف فيه المنصوص والمقيس على المنصوص. ونجح في فتح باب الاستشهاد حيث استشهد بكلام معاصريه كالمتنبي وابن الشجري لثقته في فصاحتهم.
- يعتمد ابن جني في طرحه وتحليله للمادة اللغوية على أسلوب المناقشة والحوار بإثارة الأسئلة والإجابة عليها وتحليل الظواهر وتعليل الأحكام من أجل الخروج بنتيجة ثابتة وقاعدة محددة. كما كان يكثر من التقسيمات وتعدد الفروض.

ومثال ذلك قوله: « فإن قيل : فما بالهم كثر عنهم باب فُعُل نحو عُنُق وطُنُب وقل عنهم باب فِعِل نحو إِبِل وإِطِل. مع أن الضمة أثقل من الكسرة؟ »

فالجواب عنه في موضعين : أحدهما أن سيبويه قال: « واعلم أنه قد يقل الشيء في كلامهم وغيره أثقل منه... ، والآخر أن الضمة وإن كانت أثقل من الكسرة فإنها أقوى منها وقد يحتمل للقوة ما لا يحتمل للضعف».[4]

---

[1]– سعود بن غازي أبو تاكي، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، دار غريب، القاهرة مصر، ط1، 1425 هـ / 2005م، ص219.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص219–224.

[3]– وهو باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة. وهو من أبواب الجزء الأول من كتاب الخصائص.

[4]– ابن جني، الخصائص، ج1/ ص73.

ثانيا : سر صناعة الإعراب:

1- عنوانه:

ذكر ابن جني كتابه سر صناعة الإعراب في إجازته بمؤلفاته وقال: « كتابي في سر الصناعة ». إلا أن الكتاب اشتهر باسم(سر صناعة الإعراب). والإعراب يعني الإبانة والظهور، ولهذا سمي الإعراب إعرابا لتبيينه وإيضاحه معاني الكلام. إلا أنه – في نظرنا– لا يقصد بكلمة الإعراب الواردة في العنوان علم الإعراب الذي يهتم بمواضع الكلمات وترتيبها في الجملة، وهذا لأن مهمة الكتاب البحث في الظاهرة الصوتية كما أشارت إلى ذلك مقدمة المؤلف. حتى ولو أننا نراه لا يلتزم بما قاله، فنجده يخرج أحيانا عن الحروف إلى بنية الكلمة وتأليف الحروف، كما نجده يتطرق لتأثير بعض الحروف كالكاف والواو في إعراب الكلمات التي تأتي بعدها، ولذلك نعتقد أن كلمة الإعراب الواردة في العنوان أُخذت بمعناها اللغوي وليس بمعناها الاصطلاحي. فمعنى سر صناعة الإعراب هو سر صناعة الكلام الفصيح المبين عن المعاني.

ويعد ابن جني أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته في كتابه (سر صناعة الإعراب).[1]

كما يعد ابن جني أول من أطلق على هذا الفن اسم علم الأصوات: «...ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى بما فيه من صنعة الأصوات والنغم».[2] كما أنه جاء بالعديد من المصطلحات الصوتية في مقدمة كتابه هذا:[3] كالمخارج، والهمس، والجهر، والشدة، والرخاوة، والصحة، والاعتلال، والإطباق، والانفتاح، والسكون، والحركة، والاستعلاء، والانخفاض، وإلى غير ذلك من المصطلحات الصوتية المقاربة أو المماثلة للمصطلحات الصوتية الحديثة وبهذا عد ابن

---

[1]– أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب (التأثير والتأثر)، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م، ص100.

[2]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحـــ: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 ،1421 هـــ/2000م، مجـــ 1 / ص22.

[3]– نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها ، ص42.

جني رائدا في الدراسات الصوتية قديما وحديثا، وخاصة بعد التطور العلمي الهائل وتوفر الإمكانات والآلات الحديثة المساعدة على دراسة الأصوات دراسة علمية دقيقة، والتي لم تكن متاحة للقدماء ومنهم ابن جني، إلا أنهم جاؤوا ببحوث صوتية يشهد بثقل وزنها علما ودراسة وتمحيصا إلى حد الآن.

2- **الهدف من تأليفه :**

قال ابن جني في مقدمة كتابه: «... أن أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم. وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب وأن أتقصى في ذلك وأشبعه وأؤكده».[1]

نستنتج من هذا القول أن ابن جني أراد بهذا الكتاب دراسة حروف المعجم دراسة صوتية، بذكر أحوال هذه الحروف، في مخارجها، ومدارجها، وأصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحركها، ومضغوطها ومهتوتها، ومنحرفها ومشربها، ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذلك من أجناسها.[2]

كما أراد ابن جني بهذا الكتاب أن يتقصى القول في ذلك؛ بمعنى أن يبلغ الغاية في القول وأن يشبعه دراسة وتمحيصا، ويؤكده تمثيلا من كلام العرب شعرا ونثرا وقد كان له ذلك، فقال: « وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع».[3]

---

[1]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـ 1/ ص16.

[2]– المصدر نفسه، مجـ 1/ ص17.

[3]– المصدر نفسه ، مجـ1/ص70.

3- مباحثه:

تضمن كتاب سر صناعة الإعراب مقدمة تليها ثمانية وعشرون بابا تليهم ثلاثة فصول.

أما المقدمة فقد حوت مجموعة من المواضيع الصوتية قال ابن جني:«... احتجنا إليها قبل ذكر الحروف مفصلة...»[1]

وقد جاء فيها ما يلي:

أ- تحدث ابن جني في بداية مقدمته عن هدف تأليفه للكتاب وما اشتمل عليه.

ب- تحدث عن الصوت والحرف، وبيَّن ما هو الصوت وما هو الحرف، واختلاف أجراس الحروف فقال: « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها...».[2] ثم تحدث عن كيفية معرفة صدى الحرف بأن يؤتى به ساكنا بعد همزة وصل مكسورة.

ج-تحدث عن الحروف التي اتسعت مخارجها وهي حروف اللين: الألف والواو والياء.

د- شبه الحلق والفم بالناي ووتر العود وأعطى أوجه الشبه في ذلك.

ه- عرَّف الصوت ومثَّل له من كلام العرب ثم عرف الحرف ومثل له من كلام العرب أيضا. ثم تحدث عن الحركات الفتحة والضمة والكسرة وعلاقتها بالألف والواو والياء.

و- تحدث عن الحروف في الحركة والسكون وهما الساكن والمتحرك، وعن محل الحركة من الحرف قبله، أو معه أو بعده.

---

[1]– المصدر السابق ، مجـ 1 /ص81.

[2] – المصدر نفسه، مجـ1/ ص19.

ز- تحدث عن معنى لفظة حروف المعجم وتسميتها وعددها وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبحة، ثم ذكر مراتبها على حسب مخارجها من الحلق إلى الشفتين، ثم ذكر المخارج وجعلها ستة عشرة مخرجا، بحيث ذكر المخرج والحروف التي تخرج منه، ثم تحدث عن فروع الحركات كالفتحة المشوبة بالكسرة والفتحة الممالة نحو الضمة وغيرها.

ح- تحدث عن أجناس الحروف وقسمها إلى انقسامات وهي: [1]

- الجهر والهمس وذكر مفهومهما.

أما المهموسة فهي عشرة أحرف وهي: الهاء ، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والصاد، والتاء، والسين، والثاء، والفاء. ويجمعها في اللفظ قولك: ستشحثك خصفه. وباقي الحروف مجهورة.

- الشدة والرخاوة وما بينهما.

أما الحروف الشديدة فهي ثمانية أحرف وهي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم ، والطاء، والدال، والتاء، والباء، ويجمعها في اللفظ : أجدت طبقك، أو أجدك طبقت.

والحروف التي بين الشدة والرخاوة ثمانية وهي: الألف، والعين، والياء، واللام ، والنون، والراء، والميم، والواو ويجمعها في اللفظ: لَمْ يَرْوِ عَنا أو لَمْ يَروعَنا أو لَمْ يَرْعونا.

وما سوى هذه الحروف والحروف الشديدة هي حروف رخوة.

- الإطباق والانفتاح. وذكر مفهومهما.

أما الحروف المطبقة فأربعة وهي الضاد، والطاء، والصاد، والظاء وما سوى ذلك فمفتوح.

- الاستعلاء والانخفاض. وذكر مفهومهما.

أما الحروف المستعلية فسبعة وهي : الخاء، والغين ، والقاف، والضاد، والطاء، والصاد، والظاء وماعدا هذه الحروف فمنخفض.

---

[1]- ينظر: المصدر السابق، مجـ 1 / ص 75-80.

- الصحة والاعتلال: جميع الحروف صحيحة إلا حروف اللين: الألف والواو والياء.
- السكون والحركة.
- الأصل والزيادة وحروف الزيادة عشرة تجمع في لفظ : سألتمونيها.
- حرف منحرف وهو حرف اللام.
- حرف مكرر وهو حرف الراء.
- حروف مشربة وهي حروف القلقلة وهي: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء.
- حرف مهتوت وهو حرف الهاء.
- الذلاقة والإصمات: وحروف الذلاقة ستة وهي: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم. أما باقي الحروف فهي مصمتة.

ط- وصل ابن جني في آخر المقدمة إلى أن الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن. وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولا سيما حروف الحلق[1] وهو ما يعرف بنظرية الفصاحة في اللفظ.[2]

وبعدما فرغ ابن جني من المقدمة بدأ في ذكر الحروف مفصلة. وقد أوردها على ترتيب ألف، با، تا. لأنه أسهل مأخذا وأقرب متناولا على حد قوله.[3]

وكانت البداية بباب الهمزة ثم الباء فالتاء وصولا إلى باب الياء. و كان في حديثه عن الحروف: يحدد صفته أولا: مجهور أو مهموس. ثم كيف كان يستعمل في كلام العرب: أصلا أو بدلا أو زائدا أو اثنين منها أو كلها. ثم يستشهد لكلامه من كلام العرب.

ثم تحدث عن ما يعرض للحرف في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى إعلال أو إبدال أو نقل أو حذف.

ومثال ذلك:

---

[1]- المصدر السابق، مجـ 1 / ص79.

[2]- عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة مصر، دط، 2010م، ص31.

[3]- ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـ 1/ ص81.

* في باب الهمزة[1]، قال:« اعلم أن الهمزة حرف مجهور. وهو في الكلام على ثلاثة أضرب: أصل، بدل وزائد.

ومعنى قولنا: أصلا: أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه.

ومعنى قولنا: زائدا: أن يكون الحرف لا فاء الفعل، ولا عينه، ولا لامه.

ومعنى قولنا: بدلا: أن يقام حرف مقام حرف، إما لضرورة وإما استحسانا وصنعة».

*في باب الخاء:[2] قال: «الخاء حرف مهموس. يكون أصلا لا غير ».

*في باب الدال: [3] قال: «الدال حرف مجهور يكون في الكلام على ضربين أصلا، وبدلا».

وبعدما أنهى ابن جني ذكر حروف المعجم وأحوالها والتمثيل لها جاء في نهاية كتابه بثلاثة فصول.

تضمن الفصل الأول[4] تصريف حروف المعجم واشتقاقها وجمعها. ومثال ذلك همزة، همزتان، باء، باءان، باءات.

أما الفصل الثاني[5] فقد ذكر فيه مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض وما يجوز من ذلك وما يمتنع وما يحسن وما يقبح وما يصح وما لا يصح.

أما الفصل الثالث[6] فقد خصصه لإفراد الحروف في الأمر ونظمها على المألوف من استعمال حروف المعجم.

ومن ذلك: الأمر من فعل (وَأى) أي وَعَدَ نقول: يا زَيْدٌ إِ عَمراً.

والأمر من فعل بَأَى بمعنى فَخَر نقول: ابْأَ يَا رجل. وإذا خففت الهمزة نقول : بَ يَا رَجل بمعنى: افْخَر.

---

[1] - المصدر السابق، مجـ 1/ص83.

[2] – المصدر نفسه ، مجـ 1/ ص195.

[3] – المصدر نفسه، مجـ 1/ ص197.

[4] – المصدر نفسه، مجـ2/ ص405–425.

[5] – المصدر نفسه، مجـ2/ ص427– 434.

[6] – المصدر نفسه، مجـ2/ ص 435– 442.

4- منهجية ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب:

إن الدارس لكتابي ابن جني الخصائص وسر صناعة الإعراب يجد أن أسلوب ابن جني كان متقاربا في الكتابين، فقد اعتمد في كتابته على أسلوب المناقشة والحوار وطرح الأسئلة والإجابة عنها. وهو أسلوب ممتع ومشوق، ومن أمثلة ذلك قوله: [1]«فإن قلت: فَلِم أبدلت الألف في نحو (عَصَا) و(فَتَى) واواً مع ياء الإضافة؟ فالجواب: أنهم لما احتاجوا إلى حركتها مع ياء الإضافة لسكونها وسكون الياء الأولى يَاءَي الإضافة قلبوها حرفا يتحمل الحركة وهو الواو ولم يقلبوها ياء فيقولوا (عَصَيِيٌّ) (رَحيِيٌّ) لئلا تجتمع ثلاث ياءات وكسرة فهربوا إلى الواو لتختلف الأحرف».

ومن الملاحظ أيضا أن كتاب سر صناعة الإعراب يمتاز بالتنظيم والترتيب المنطقي على عكس كتاب الخصائص الذي افتقدت أبوابه إلى مثل هذا التنظيم.

فقد جاء في سر صناعة الإعراب بمقدمة تحتوي على كل المواضيع الصوتية التي تمس جميع حروف المعجم مجملة.

ثم خصص لكل حرف بابا يتحدث فيه عن هذا الحرف وما يميزه عن غيره من الحروف، دون العودة إلى الأمور العامة التي سبق وأن ذكرها في المقدمة.

ثم خلص في النهاية إلى ثلاثة فصول يرى بأنها تشمل كل حروف المعجم. وتمثل خلاصة الحديث عن الحروف منفصلة مفصلة، حيث تحدث عن تأليف هذه الحروف، وشروط هذا التأليف، وأمور أخرى، سبق ذكرها.

وبالإضافة إلى ترتيبه أبواب الكتاب تجنب ابن جني الإسهاب والإطالة فقال «..وأجتنب مع ذلك الإسهاب والإطالة... ».[2]

---

[1]– المصدر السابق، مجـ2/ ص 229.

[2]– المصدر نفسه، مجـ 1 / ص 16.

وقد استشهد ابن جني بآراء كثير من النحاة الذين جاؤوا قبله أمثال سيبويه[1] والخليل[2] والأخفش الأوسط[3] وأبي علي الفارسي، وأبي العباس المبرد[4] وغيرهم.
كما نجده يستشهد كثيرا بشعر كثير من الشعراء العرب، وبعض الآيات القرآنية.

ثالثا: المنصف

1- عنوانه:

ذكر ابن جني كتاب المنصف في الإجازة التي أثبتها ياقوت الحموي في معجمه إلا أنه لم يذكره باسم المنصف بل قال: كتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني.[5]

وعنوانه بالكامل هو كتاب المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني، فهو كتاب في التصريف، قام فيه ابن جني بشرح كتاب التصريف للمازني[6] المتوفى سنة (247هـ) وهذا لاعتناء ابن جني بعلم الصرف وولعه به من جهة، ومن جهة أخرى لأن

---

[1]– سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، نحوي شهير، صاحب كتاب " الكتاب" النحوي المعروف، مات بالبصرة سنة (180 هـ) . يراجع: خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ ص21.

[2]– الخليل: هو الخليل بن أحمد بن عبد الرحمان أبو عبد الرحمان الفراهيدي الأزهري، نحوي ولغوي وعروضي، ولد سنة(100 هـ) وتوفي سنة(170هـ) . يراجع: خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ ص119.

[3]– هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، من أئمة النحو البصريين أخذ عن سيبويه وهو أعلم من أخذ عنه، توفي سنة (215هـ). يراجع: رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج46/3

[4]– هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، كان من أهل البصرة، توفي سنة(285هـ). يراجع: ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص164.

[5]– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4/ ص1598.

[6]– هو بكر بن محمد بن بقية وقيل بن عدي بن حبيب أبو عثمان النحوي، وهو من أهل البصرة، توفي سنة (247 هـ). يراجع: القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م، ج1/ص 281 .

كتاب التصريف للمازني يعد حجة في علم التصريف، وحكما بين المختصمين فيما جَلَّ وعظم أو هان وصَغُر من مشكلات قد تطرأ للمتعاملين مع هذا العلم الخطير الشأن.[1]

2- **الهدف من تأليفه:**

قال أبو الفتح عثمان ابن جني أخبرني الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي قراءة مني عليه بحلب. عن أبي بكر محمد بن السري السراج عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد عن أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني رحمهم الله أجمعين[2] – وهؤلاء هم رواة كتاب التصريف للمازني حتى وصل لابن جني فعمد إليه يشرحه ويوضح غوامضه– في مقدمة كتابه: « هذا كتاب أشرح فيه كتاب أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني – رحمه الله – في التصريف، بتمكين أصوله وتهذيب فصوله ولا أدع فيه بحول الله وقوته غامضا إلا شرحته، ولا مشكلا إلا أوضحته، ولا كثيرا من الأشباه والنظائر إلا أوردته. ليكون هذا الكتاب قائما بنفسه. ومتقدما في جنسه...»[3] فالهدف الأساس ومحور تأليف كتاب المنصف هو شرح كتاب التصريف لما لهذا العلم من

عظيم فائدة وحاجة لجميع أهل العربية لأنه ميزان اللغة العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه من جهة ومن جهة أخرى لما لهذا الكتاب– كتاب التصريف– من قيمة عظيمة عرفها ابن جني فقال فيه: «هذا الكتاب من أنفس كتب التصريف وأسدها وأرصنها، عريقا في الإيجاز والاختصار، عاريا من الحشو والإكثار

[1]– محمد عبد القادر أحمد عطا، مقدمة كتاب المنصف، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ/1999م، ص3.

[2]– ابن جني، المنصف، تحـ: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1،1419 هـ/1999م، ص36.

[3]– المصدر نفسه، ص 31.

متخلصا من كزازة[1] المتقدمين، مرتفعا عن تخليط كثير من المتأخرين، قليل الألفاظ كثير المعاني، عنيت بتفسير مشكله وكشف غامضه والزيادة في شرحه محتسبا ذلك في جنب ثواب الله ومزكيا به ما وهبه لي من العلم».[2]

وقد أشار محقق كتاب المنصف محمد عبد القادر أحمد عطا إلى أن ابن جني شرح الكتاب بمعونة أستاذه أبي علي الفارسي.[3] ونحن لا نستبعد ذلك كون ابن جني تلميذ أبي علي لازمه حتى يتعلم منه التصريف وأصوله، وليس ببعيد أن يكون ابن جني قد شرح كتاب التصريف أثناء ملازمته لأبي علي، وكان ابن جني يعود إلى أبي علي في المسائل التي تصعب عليه أو تغمض أمامه فيساعده على شرحها وفهم غوامضها. وقد أضاف شوقي ضيف أن ابن جني قرأ كتاب التصريف للمازني على أستاذه الفارسي، ثم عمد إلى شرحه في كتاب المنصف.[4]

3-مباحثه:

تَضمن كتاب المنصف عشرين بابا كلها في التصريف. تصدرتها مقدمة تحدث فيها ابن جني عن مجموعة من المسائل أرادها تمهيدا لما سيأتي بعدها كما أنها تعتبر من الأمور التي يجب أن يعرفها كل مريد لعلم التصريف.

فبدأ الحديث عن علم التصريف والحاجة إليه، ثم تحدث عن الألفاظ التي لا تؤخذ إلا سماعا. ثم عن تخليط أهل اللغة فيما سبيله القياس. ثم بين الفرق بين التصريف والاشتقاق والنحو واللغة، ثم تحدث عن كتاب المازني فذكر قيمته، وما يجب على من يطلع على كتاب ذي قيمة، وعلى رواته حتى وصل إليه، ثم بدأ في شرح كتاب التصريف وذكر الأبواب التالية:

---

[1]– الكزازة والكزاز: اليبس والانقباض. يراجع: ابن منظور، لسان العرب، ج12/ص81. مادة (كـــ ز ز).

[2]– أحمد عطا، مقدمة تحقيق المنصف، ص8.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط10،2008 م، ص266.

1- باب الأسماء والأفعال.
2- باب ما تجعله زائدا من حروف الزيادة.
3- باب ما قيس من الصحيح على ما جاء من الصحيح من كلام العرب.
4- باب الياء والواو اللتين هما فاءات.
5- باب من مسائل الياء والواو اللتين هما فاءات.
6- باب من الياء والواو فيه ثانية وهما في موضع العين من الفعل.
7- باب ما لحقته الزوائد من هذه الأفعال من بنات الثلاثة.
8- باب ما جاء من الأسماء ليس في أوله زيادة من الواو والياء اللتين هما عينان.
9- باب ما تقلب فيه الواو ياء.
10- باب ما يكسر عليه الواحد مما ذكرنا.
11- باب من اللام منه همزة من بنات الياء والواو اللتين هما عينان.
12- باب الواو والياء اللتين هما لامان.
13- باب تقلب فيه الياء واوا ليفرق بين الاسم والصفة.
14- باب تقلب الواو فيه إلى الياء إذا كانت فعلت على أربعة أحرف فصاعدا.
15- باب التضعيف في بنات الياء نحو حييت وعييت وأحييت وأعييت.
16- باب التضعيف في بنات الواو.
17- باب ما قيس من المعتل ولم يجئ مثاله إلا من الصحيح.
18- باب تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها ولا يتكلم بها على الأصل البتة كما يتكلم بالفعل من (قال وباع) وما كان نحوهن عن الأصل.
19- تفسير اللغة من كتاب أبي عثمان بشواهده وحججه.
20- من مسائل عويص التصريف.

البابان التاسع عشر والعشرون لا يتضمنان شرحا لكلام المازني إنما جاء بهما ابن جني لتفسير ما جاء من غريب اللغة في كتاب التصريف. ثم لذكر مسائل عويصة في التصريف. قال ابن جني: «... فإذا أتيت على آخره، أفردت فيه بابا لتفسير ما فيه من

اللغة الغريبة، فإذا فرغت من ذلك الباب أوردت فصلا من المسائل المشكلة العويصة التي تشحذ الأفكار وتروض الخواطر...»[1].

4- منهجية ابن جني في كتابه المنصف:

كان العمل الأساسي لابن جني في كتاب المنصف شرح كلام المازني، فكان يبدأ من كلام المازني فيسوقه بعد: قال أبو عثمان. ثم يشرح هذا الكلام بكلام يسوقه بعد: قال أبو الفتح.

وقد اعتمد ابن جني في شرحه على تحليل الكلام إلى أجزاء ثم شرحه جزء جزء مع التمثيل لكل جزء إذا كان لذلك ضرورة.

ومثال ذلك : « لِمَ لَمْ يشتقوا من وَيْلٌ وأخواتها أفعالا؟

قال أبو عثمان: ومثل ذلك(وَيْلٌ،ووَيْحٌ، ووَيْسٌ)هذه كلها مصادر، لأن معناها الدعاء كـــ: (سَقْياً من سَقَيْتُ فلو صاغوا منها فعلا لزمهم ما يستثقلون).

قال أبو الفتح: إِنَّماَ يَعْنِي ما يستثقلون، أنه كان يلزم حذف الفاء في المضارع لأنها كواو (وَعَدَ، و وَزَنَ وكذلك يلزم الياء الإعلال وحذفها وسكون اللام) كما كان في (بَاعَ، وقَالَ) فكان يجب من هذا إعلال الفاء والعين جميعا، وهذا إجحاف».[2]

---

[1]- ابن جني، المنصف، ص31.

[2]- المصدر نفسه، ص 444.

الفصل الثانـي

فكرة الفونيم والمقطع عند ابن جنـي

- توطئة
- المبحث الأول: فكرة الفونيم
- المبحث الثاني : فكرة المقطع

توطئة:

إن الفونيم والمقطع من المصطلحات الأكثر شيوعا وتداولا في مجال الصوتيات التركيبية.

وتعد نظرية الفونيم من النظريات اللغوية التي حظيت باهتمام ودراسة كبيرة من قبل العلماء، الذين انصبُّوا عليها لمعرفة قيمتها وجدواها في مجال الدراسات اللغوية، وقد ساعدهم التطور العلمي والتكنولوجي على ذلك ، بحيث وفر لهم الوسائل لإجراء دراسات تجريبية على الأصوات لمعرفة خصائصها مفردة ومركبة مع بعضها البعض.

أما المقطع فقد انكب العلماء على دراسته بعدما تيقنوا من وجوده في الأحداث الكلامية، وأهميته في تقسيم الكلام المنطوق.

ولنا في هذا الفصل وقفة مع الفونيم في المبحث الأول، نتعرَّف فيها على أساسيات تخص الفونيم، ثم نبحث عنه في دراسات ابن جني كمصطلح ثم كمفهوم.

ولنا وقفة أخرى مع المقطع في الفصل الثاني، نتعرَّف فيها على أساسيات المقطع؛ من مفهومه وأنواعه ومكوناته، ثم نبحث عنه في دراسات ابن جني كمصطلح أولا ثم كمفهوم، لنعرف مدى وعي ابن جني بفكرة المقطع.

المبحث الأول: الفونيم.

1_ مدخل تاريخي:

لا يكاد يخلو كتاب في علم الأصوات من الحديث عن الفونيم، ومفهومه، وأنواعه، ومكوناته، وخاصة كتب الدراسات الصوتية الوظيفية. فالفونيم هو عنصر أساس في الدراسات الفونولوجية. بل على أساسه قام علم الفونولوجيا.

وسنقوم هنا بالحديث عن نظرية الفونيم وبداياتها، ومصطلح الفونيم وبداية استخدامه كمدخل تاريخي لدراسة الفونيم.

إن نظرية الفونيم مهما كان تفسيرها قد انبثقت من ملاحظة كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة، ومن محاولة وضع ألفائيات للغات المختلفة، ولذلك رد بعضهم أولى التصورات لنظرية الفونيم إلى الزمن الذي اهتدى فيه الإنسان إلى الكتابة الألفبائية، والتي ترمز للأصوات التي تشكل الكلمات، مثل الألفبائية السنسكريتية والألفبائية الإغريقية.[1]

أما في العصر الحديث فإن نظرية الفونيم تعود إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عند كل من الإنجليزي هنري سويت(Henry Swee)، والبولندي جان بودوان دي كورتيني (Jan Boudoin de courteney) الذي أعطى الفونيم مفهومه الدقيق دون أن يستخدم المصطلح. وقد أوضح كل منهما فكرة الفونيم في كتابه والكتابان صدرا لهما في فترتين متقاربتين دون أن يطَّلع أحدهما على كتاب الآخر، فقد صدر كتاب بودوان عام 1873م. وصدر كتاب سويت عام 1877م.[2]

وإلى هذه المرحلة لم يظهر مصطلح الفونيم في الاستعمال للتعبير عن فكرة الفونيم.

---

[1]- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص167و170.

[2]– كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية ص143.

ويشير أحمد مختار عمر إلى أن أول من استخدم مصطلح الفونيم كان ديفريش ديسجنت (Defrish Desgenette) في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية سنة 1873م، ثم استعمله لويس هافيت(Louis Havet) ثم منه انتقل إلى فرديناند دي سوسير(Ferdinand de Saussure) .[1]

أما في علم اللغة الأمريكي فقد ظهر الاهتمام بفكرة الفونيم عند إدوارد سابير (Edward Sapir)في كتابه اللغة (Langage) الذي أصدره سنة 1922م. وإن لم يذكر المصطلح بصورته، وإنما يقابلنا المصطلح عند زميله بلوم فيلد (Bloom Field) في كتابه اللغة الذي صدر سنة 1933م.[2]

2 تعريف الفونيم:

للفونيم تعريفات كثيرة ومختلفة منبثقة من توجهات العلماء ومناهجهم وتصوراتهم للغة والصوت، ومن هذه الاتجاهات في تعريف الفونيم: الاتجاه العقلي، والاتجاه المادي، والاتجاه الوظيفي، والاتجاه التجريدي.[3] ولكل اتجاه من هذه الاتجاهات نظرته الخاصة للفونيم وتعريف خاص به. لا نريد أن نخوض فيها كلها، وسنكتفي بذكر بعضها وهي:

- عند ماريو باي (M ,Pie) : وهو من أنصار الاتجاه العقلي، يقول: « الفونيم مجموعة أو تنوع أو ضرب يضم أصوات وثيقة الصلة (فونات) ينظر إليها المتكلمون على أنها تمثل وحدة واحدة بغض النظر عن تنوعاتها الموضعية».[4]

---

[1]– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص169

[2]- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص144

[3]– ينظر:حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر،ط1، 2005م، ص158–163.

[4]– ماريوباي، أسس علم اللغة، تر:أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط8،1419هـ/ 1998م، ص49.

- عند دانيال جونز(D,Jones): من أنصار الاتجاه المادي، يعرِّف الفونيم بقوله: «الفونيم عائلة من الأصوات في لغة معينة، متشابهة الخصائص ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق اللغوي الذي يقع فيه الآخر».[1]

- تروبتسكوي (Troubetzkoy): من أنصار الاتجاه الوظيفي، يحدد الفونيمات على أنها وحدات تشكيلية لا يمكن تقسيمها من وجهة النظر اللغوية إلى عناصر متتابعة أدق. ويقول:« إنها علامات مميزة لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظيفتها في تركيب كل لغة على حدتها »[2]. ويقول أيضا:«إن الفونيم مجموع الصفات التشكيلية ذات الصلة بالموضوع. ويضيف « إن الفونيم فكرة لغوية لا نفسية».[3]

- بلومفيلد(Bloom Field) له رؤية تروبتسكوي للفونيم. ويعرف الفونيمات على أنها: « الوحدات الصغرى من الصفات المميزة الأصوات» و«أصغر ما يحدث اختلافا في المعنى من الوحدات» وقال أيضا: «إن فونيمات اللغة ليست أصواتا ولكنها صفات في الأصوات ينتجها المتكلم بالتدريب ويميزها في تيار الكلام الفعلي».[4]

- توادل (Twaddell) من أنصار الاتجاه التجريدي، يرى بأن:« الفونيم ليس له وجود حقيقي لا من الناحية العضوية ولا من الناحية النفسية وإنما هو وحدة خرافية تجريدية».[5]

وقد أضاف سمير شريف استيتية الاتجاه التكاملي في تعريف الفونيم؛ لأنه يرى أنه إذا نظر الباحث في الاتجاهات السابقة يجد أن كل واحد منها قد ألم بوجه أو أكثر مما ينبغي أن يكون عليه الفونيم. والنظر التكاملي هو الذي يجمع بينها، لدى اقترح تعريفا تكامليا للفونيم يقول فيه:«الفونيم وحدة صوتية ذات وجود ذهني، له تحقق على مستوى

[1] - حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية، ص159.

[2] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص162 .

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

النطق والبناء، قابل للتوظيف الدلالي أو الإشاري بما يقتضيه النظر الاجتماعي في المحيط اللغوي الواحد».[1]

وخلاصة هذه الآراء التي حاولت تقديم تعريف للفونيم كل من وجهة نظره ومنهجه في البحث اللغوي، نتائج متماثلة تؤدي إلى أهداف عملية معينة. وتتلخص هذه النتائج والأهداف فيما يلي:

« أ- الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخرى؛ أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ب- الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم اللغات الأجنبية فالأصوات الفعلية المنطوقة في أية لغة كثيرة كثرة فائقة، في حين أن فونيمات كل لغة تقل في عددها عن عدد هذه الأصوات المنطوقة بالفعل وبصورة ملحوظة.

ج- لفكرة الفونيم دور مهم في ابتكار الألفبائيات أو نظم الكتابة بصورة ميسرة ودقيقة».[2]

3-أنواع الفونيمات:

قسم العلماء الفونيمات إلى نوعين هما:[3]

أ-فونيمات رئيسية(تركيبية أو قطعية): وهي تلك الوحدات الصوتية التي تكون جزءً من أصغر صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق. أو ذلك العنصر الذي يكون جزء أساسا من بنية الكلمة المفردة. وبهذا نقول إن اللغة العربية الفصحى تشتمل على خمسة وثلاثين فونيما أساسيا أو تركيبيا وهي الصوامت التسعة والعشرون، والصوائت الستة.

---

[1]- سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2،1429هـ/2008م، ص78.

[2] - كمال بشر،علم الأصوات، ص491.

[3]- ينظر:كمال بشر،علم الأصوات، ص496-497 . وحسام البهنساوي، الدراسات الصوتية، ص165-166. وزين كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، ص113-114.

ب-فونيمات ثانوية (فوق التركيبية أو غير القطعية): ويطلق عليها أيضا فونيمات تطريزية. وهي كل ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل. فهي إذن تظهر حين تضم كلمة إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل جملة.

ومن أمثلة الفونيمات الثانوية: النبر، والتنغيم، والفواصل الصوتية.

4-بين الفونيم والألوفون، والصوت والحرف:

لما كان مصطلح الفونيم من أكثر المصطلحات استعمالا في الدرس الصوتي؛ كانت الحاجة إلى تعريبه وتوحيد تعريبه أكبر من الحاجة إلى تعريب مصطلحات أخرى. إلا أن الباحثين العرب لم يتفقوا على لفظ واحد لتعريبه، فوجدت بذلك عدة ترجمات لهذا المصطلح ومنها: صوتم، وصوت، وفونيمية، وصويتم، وصوت مجرد، وصوتية، ومستصوت، ولافظ،[1] هذه الصيغ الكثيرة لم يكتب لواحدة منها الشيوع والانتشار، مما شجع على بقاء اللفظ الأجنبي (Phonème) بلفظه في اللغة العربية (فونيم).

وكثيرا ما تختلط علينا المصطلحات فهل الفونيم هو الحرف؟ أم هو الصوت؟

أم أن لكل واحد من هذه المصطلحات معنى خاصا بعيدا عن الآخر؟

سنحاول هنا أن نوجز تعريف كل مصطلح لنعرف الحدود بينها.

أ- الفونيم والألوفون:

الفونيم(Phonème) مصطلح سبق التعرف على معانيه، وإن لم يتفق العلماء على تعريف جامع ودقيق له، إلا أننا سنقوم بالتمثيل له حتى نتعرف عليه أكثر.

لدينا في اللغة العربية مثلا: الفعل (قالَ) إذا أحللنا مكان القاف في هذا الفعل ميما ولم ندخل أي تغيير آخر على الكلمة لتحول إلى (مالَ)، وبذلك تغير المعنى. فالقاف إذن فونيم

[1] - أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي، مجلة عالم الفكر، الألسنية، المجلد العشرون، العدد3، أكتوبر نوفمبر ديسمبر 1989م، ص13 .

والميم فونيم آخر؛ لأنه أدى إلى تغيير المعنى. و مثله أيضا في كلمتي (عَمْ) و(غَمْ)، وفي الكلمتين الفرنسيتين (Pas) و(Bas).

وقد يظهر الفونيم في العربية على شكل حركة، فكلمة (عَلِمَ) تختلف عن (عِلْمٌ) وتختلف عن (عَلَمٌ) فالفتحة فونيم، والضمة فونيم، والكسرة فونيم[1].

ولهذا نقول إن اللغة العربية تتكون من تسعة وعشرين فونيما وهي الصوامت بالإضافة إلى ستة فونيمات وهي الصوائت: الفتحة والضمة والكسرة مع نظيراتها الطويلة: الألف والواو والياء فيكون المجموع بهذا خمسة وثلاثين فونيما.

أما الألوفون(Allophone) فهو شكل من الأشكال التي يظهر فيها الفونيم. أو هو أحد أفراد المجموعة التي يضمها الفونيم. أو نقول: الألوفون هو إحدى الصور المتشابهة والمتنوعة للفونيم.

ويعرفه عاطف مدكور:«الألوفونات أو الأصوات هي التنوعات الصوتية التي يتحقق بها الفونيم »[2].

ومن أمثلة الألوفونات: الفتحات في اللغة العربية ألوفونات لفونيم واحد وهو الفتحة. فالفتحة في (طابَ) مفخمة، وفي (تابَ) مرققة، وفي (قالَ) بين بين. وكل من الفتحة المفخمة والفتحة المرققة والفتحة بين بين هي ألوفونات للفتحة.

وكذلك فونيم النون، له ألوفونات مختلفة منها في (نَحْنُ) و(إِنْ قالَ) و(إِنْ شاءَ) و(إِنْ ظَهَرَ)، حيث نلاحظ أن مخرج صوت النون يختلف من لفظة إلى أخرى على حسب الأصوات المجاورة له، ولكنها كلها تدخل ضمن مصطلح واحد وهو فونيم النون.

ويرى دانيال جونز أن أحد هذه الأعضاء؛ أي الألوفونات عضو رئيس والأعضاء الأخرى إضافية أو ثانوية.

والسبب في ذلك قد يكون لأحد هذه المبررات التالية:

---

[1] - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة، ص124–125.

[2] - عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، ص124.

– كثرة ورود هذا العضو– العضو الرئيس– في الاستعمال اللغوي بصورة تفوق بقية الأعضاء.

– لأنه العضو الذي يستعمل وحده منعزلا عن السياق الفعلي.

– لأنه في الموقع الوسط بين بقية الأعضاء.[1]

لذلك يمكننا اعتبار الفتحة بين بين ألوفونا رئيسيا لفونيم الفتحة. والفتحة المرققة، والفتحة المفخمة ألوفونان ثانويان للفتحة.

ويمكننا القول أيضا أن العلاقة بين الفونيم والألوفون كالعلاقة بين الجزء والكل فالفونيم هو الكل والألوفون هو جزء من الكل.

وعلينا أن ندرك أن ما يكون ألوفونا في لغة ما قد يكون فونيما في لغة أخرى مثل: (p) و(b) في اللغة الإنجليزية هما فونيمان مختلفان في(Ball) و(Pall) ، إلا أنهما ألوفونان لفونيم واحد في اللغة العربية وهو فونيم الباء.[2]

ومعرفة الوحدة الصوتية هل هي فونيم أو ألوفون، يكون بتجريب الصوتين بأن يوضع كل منهما في مكان الآخر في كلمة ما مع الاحتفاظ بباقي حروفها. فإن حدث ووُجِد اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإن لم يحدث أي اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغيير فهما ألوفونان لفونيم واحد.[3]

ب– الصوت والحرف:

الصوت لغة هو الجَرَسُ.[4] وقد جاء في رسالة أسباب حدوث الحروف: «الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أي سبب كان».[5]

---

[1] - زين كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، ص105.

[2] - عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص126.

[3] - عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق سورية، دط،1998 م، ص226.

[4] - ابن منظور، لسان العرب، ج7/ص401. مادة (ص و ت).

[5] - ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحـــ: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مجمع اللغة العربية بدمشق، دط، دت، ص56.

أما عند علماء العربية فهو أثر سمعي يصدر عن أعضاء النطق غير محدد بمعنى معين في ذاته أو في غيره.[1]

ويعرفه رمضان عبد التواب بقوله: «الصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسه».[2]

أما الحرف فقد جاء في اللسان: «الحرف في الأصل هو الطَرَفُ والجانِبُ... حرفا الرأس شقاه، وحرفا السفينة والجبل جانبهما، والجمع أَحْرُف وحُروف وحِرَفَة».[3]

أما في الاصطلاح: الحرف هو رمز كتابي للصوت اللغوي، ولفظ يدل على الصوت اللغوي أيضا، مثل حرف الراء بمعنى صوت الراء وحرف الميم بمعنى صوت الميم وهكذا.[4]

ويعرفه رمضان عبد التواب بقوله: « الحرف هو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى».[5]

والفرق بين الصوت والحرف هو فرق ما بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين أحد المفردات والقسم الذي يقع فيه، فالصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس وعلى الأخص حاستي السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركة، وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه. أما الحرف فهو مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم فإن الحرف مما يوجده الباحث.[6]

---

[1]- عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص216.

[2]- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط3، 1417هـ/1997م، ص84.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ج3/ص120. مادة (ح ر ف).

[4]- عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص217.

[5]- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص84.

[6]– تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط4، 2000م، ص129.

والصوت جزء من تحليل الكلام. والحرف جزء من تحليل اللغة[1]؛ لأن الكلام يخص فردا يعنيه، وهو منطوق. أما اللغة فهي خاصة بمجموعة من الأفراد، وهي مكتوبة.

ومثالنا عن الحرف وأصواته، نقول: اللام حرف. واللام المفخمة في (والله)، واللام المرققة في (بالله) أصوات لحرف اللام.

إذن العلاقة بين الحرف والصوت هي مثلها بين الفونيم والألوفون فإذا كان الألوفون جزء من الفونيم، فإن الصوت جزء من الحرف.

والحرف هو الفونيم، يقول رمضان عبد التواب: «وهذه التفرقة بين الصوت والحرف على هذا النحو نتوصل بها إلى جعل الحرف مساويا للإصلاح الغربي فونيم».[2]

ويقاسمه هذا الرأي تمام حسان إذ يقول: «الفونيم في أحد معانيه يقصد به معنى الحرف».[3]

ويقول أيضا: «عند الفراغ من الدراسة العلمية التي يقوم بها علم الأصوات نجد بين أيدينا عددا من الأصوات يمكن عند استخدام ما بين بعضه البعض الآخر من روابط وعلاقات أن يقسم إلى عدد أقل من الوحدات المجردة التي لا تُنطق؛ لأنها أقسام لا أصوات وهذه الأقسام هي التي نطلق عليها في الدراسة اللغوية الحديثة اصطلاح الحروف أو الفونيمات».[4]

كما نجد أن تمام حسان قد فرق بين الحرف والرمز الكتابي فيقول: «وليست الحروف هي تلك الصور الكتابية التي نخطها بالقلم، فهذه رموز كتابية إلى الحروف»[5].

5- فكرة الفونيم عند ابن جني:

إن فكرة الفونيم فكرة قديمة، وقد أدركها العرب مثل غيرهم من الأمم الأخرى، وهذا حين ابتكارهم الألفبائية العربية، ووضعهم رمزا واحدا لكل فونيم مهما تعددت صوره، فللباء رمز واحد، وللتاء رمز واحد أيضا، وهكذا.

---

[1] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، دط، 1994 م، ص74.

[2] – رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص84.

[3] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص158.

[4] – تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص119.

[5] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالفونيم كفكرة كان موجودا في الفكر العربي، لكنه لا يرقى لأن يكون نظرية واضحة المعالم.

أما مصطلح الفونيم فهو مصطلح غربي حديث في الدراسات اللسانية، ولأهميته في الدراسات الصوتية انتقل إلى الدراسات العربية- كما سبق وذكرنا-

وعندما عنونا هذا الجزء من البحث بـــ:(فكرة الفونيم عند ابن جني) لا نريد بذلك أن نبحث عن هذا المصطلح في دراسات ابن جني، بل نريد أن نبحث عن ما يدل على أن ابن جني كان على وعي بفكر الفونيم أم لا.

وبما أننا توصلنا إلى أن الفونيم هو الحرف، فطريقنا إلى البحث عن الفونيم عند ابن جني هو تقصِّي الحرف عنده، كيف نظر إليه؟ وهل فرق بينه وبين الصوت كما فرقت الدراسات الحديثة بين الفونيم والألوفون؟ وكيف كانت نظرته لفونيمات اللغة العربية؟

لقد نظر ابن جني إلى الحرف على أنه: « حد منقطع الصوت وغايته وطرفه[1]».

وقد سمَّى المقطع حرفا أيضا. وهو ما يعرض للصوت فيثنيه عن امتداده، فقال: « فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ». [2]

إلا أن تسميته المقطع حرفا لا تكون إلا على ضرب من المجاز؛ لأنه من المعروف أن المقطع هنا هو مخرج الصوت لا الحرف.

وقد عرَّف ابن جني الصوت أيضا فقال:« اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا ».[3]

والصوت على هذا التعريف يشترك فيه الحيوان الناطق والحيوان الأعجم.

مما سبق نلحظ أن ابن جني عرف المصطلحين – الصوت والحرف- والظاهر من تعاريفه أنه فرق بينهما. إلا أن تفريقه هذا ليس كتفريق العلماء المحدثين؛ وهذا لأننا نجد

---

[1]- ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـــ1/ص28.

[2]- المصدر نفسه، مجـــ1/ص19.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أن ابن جني كثيرا ما يقرن المصطلحين معا، فنجده مثلا في كتابه سر صناعة الإعراب يقول: «علم الأصوات والحروف»[1].

وقد يستخدم ابن جني المصطلحين في معنى واحد، فنجده في حديثه عن الإدغام مثلا يقول: تقريب الصوت من الصوت، ثم يعود ويقول: « تقريب الحرف من الحرف».

ويقول أيضا في حديثه عن مضمون كتابه سر صناعة الإعراب: « أذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها...[2]» والصحيح أن هذه أحوال وصفات الأصوات المسموعة لا الحروف المكتوبة.

ويضيف ابن جني: « واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرون قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفا، وهذه الستة حسنة... وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف وهي حروف غير مستحسنة». [3]

ومن المعلوم أن اللغة العربية تتكون من تسعة وعشرين حرفا، أضاف إليها ابن جني هنا ستة أحرف حسنة وهي: النون الخفيفة، والهمزة المخففة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وثمانية أحرف غير مستحسنة وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم.[4]

وهذه التي سماها ابن جني حروف حسنة وحروف غير مستحسنة ما هي إلا تنوعات صوتية لحروف معينة من الحروف التسعة والعشرين.

فالنون الخفيفة تنوع من تنوعات حرف النون، وألف التفخيم وألف الإمالة تنوعان من تنوعات حرف الألف، وهكذا.

---

[1]- المصدر السابق ، مجـــ1/ص22.

[2]- المصدر نفسه، مجـــ1/ص16-17.

[3]- المصدر نفسه، مجـــ1/ص59.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وابن جني يقر أن هذه الحروف الأربعة عشرة التي أضافها لا يصح أمرها إلا بالسمع والمشافهة؛ أي أنه ليس لها رمزا كتابيا خاصا، إلا أنه يسميها حروفا في حين هي أصوات.

ومن هذا يتبين أن ابن جني لا يفرق بين الصوت والحرف كتفريق المحدثين، والغالب على دراساته استخدام المصطلحين لمفهوم واحد.

هذا من جهة نظرته للصوت والحرف، أما من جهة نظرته للحروف فنجد أن ابن جني قد تفطن إلى أن تغيير الحروف يؤدي إلى تغيير المعاني، وهو نوع من أنواع الدلالة الصوتية. وبهذا قد أدرك ابن جني استقلالية الحرف، واعتبره فونيما أو وحدة صوتية مرتبطا بمعنى في ثباته وتغيره في موقعه، بحيث يصلح أن يكون مقابلا استبداليا لآخر، فإذا تغير في موقعه من الكلمة وثبتت بقية الحروف يعقب ذلك اختلاف في المعنى.[1]

وقد درس ابن جني هذا الموضوع؛ أي موضوع استبدال حرف مكان آخر، والذي يؤدي إلى تغير المعنى في كتابه الخصائص تحت باب (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني).

بحيث أشار ابن جني في هذا الباب إلى أنواع مختلفة من الدلالة الصوتية، من ذلك أنه تحدث عن حكاية الأصوات الطبيعية كـــ: « صَر لصوت الجندب، لما فيه من استطالة، وصَرْصَر لصوت البازي لما فيه من تقطيع» .[2]

وقد أشار إلى الدلالة المستمدة من الصيغ الصرفية، مثل التي على وزن الفَعَلان وقال أنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النَقَزان والغَلَيان، والغَثَيان... والمصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزَعْزَعَة، والقَلْقَلَة... وغيرها من الصيغ.[3]

وما يهمنا في هذا الموضع هو حديثه عن الدلالة الصوتية المستمدة من استبدال حرف مكان حرف آخر مع تغير المعنى، ونجده يعرض لهذا في قوله: « فأما مقابلة

---

[1]– عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، ص32.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج2/ ص100.

[3]– ينظر:المصدر نفسه، ج2/ص101–104.

الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها...[1]».

ثم يضيف ممثلا وشارحا، «من ذلك قولهم: خَضَمَ، وقَضَمَ. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك... » «ومن ذلك قولهم: النَضْحُ للماء ونحوه، والنَضْخُ أقوى من النَضْحِ قال تعالى ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمان الآية 66]

فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظتها لما هو أقوى منه[2]».

إذن لقد أدرك ابن جني أن الحروف (الفونيمات) تلعب دورا هاما في الدلالة، وأن إحلال إحداها مكان الآخر يولد دلالة جديدة، من ذلك في المثال الأول: خضم وقضم. فالخاء تدل على الرخاوة، وبالتالي جاء الفعل (خضم) للدلالة على أكل الرطب. والقاف تدل على الشدة، لذلك جاء الفعل (قضم) للدلالة على أكل اليابس.

وفي المثال الثاني: جعلت الحاء لرقتها للدلالة على تسرب السائل في تأن وبطء. والخاء لغلظتها للدلالة على فوران السائل في قوة وعنف.[3]

وقد أورد ابن جني أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدعم رأيه في أن للفونيمات دور مهم في الدلالة.[4] وإن لم يصرح بذلك إلا أن أمثلته وتحليله أغنوا عن التصريح.

وبهذا يكون ابن جني قد نال شرف السبق إلى مثل هذا التحليل، متقدما بذلك على جميع علماء اللغة المحدثين.

---

[1]– المصدر السابق، ج2/ ص104.

[2]– المصدر نفسه، ج2/ص104–105.

[3]– محمد بوعمامة، الصوت والدلالة دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، شبكة صوت العربية.www.voicofarabic.net

[4]– ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/ ص105–110.

خلاصة القول نشير إلى أن الفونيم كفكرة كان موجودا في فكر ابن جني، ولذلك توصل إلى أن الفونيم يميز كلمة عن أخرى أي يقوم بالتفريق بين الكلمات، وبه تمكن من تحديد حروف اللغة العربية التسعة والعشرين، وإن كان بهذا التحديد مقلدا لسابقيه أمثال الخليل وسيبويه إلا أن كلامه عنه تأكيد له.

وهذه التي توصل إليها ابن جني هي أهم وظائف الفونيم. فإذا كان ابن جني قد توصل إليها يعني أنه كان يفقه فكرة الفونيم وكان على وعي بها وإن لم يصرح بذلك. إلا أن ما توصل إليه يغني عن كل تصريح.

المبحث الثاني: فكرة المقطع

إن الدارس للتراث اللغوي العربي لا يجد للكلام العربي تقطيعا إلا تقطيع الشعر إلى تفعيلات، والتي تتألف من أسباب وأوتاد، وهي قريبة الصلة بالنظام المقطعي الصوتي في الدرس اللغوي الحديث، فقد بنى العروضيون مقاييسهم العروضية على اعتبار المقاطع العروضية خفقات صدرية أو وحدات إيقاعية أو أشياء لها هذه الطبيعة، ووصفوا النظام الإيقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحيين (حركة) و(سكون)، ودلوا على الحركة بشرطة وعلى السكون بدائرة.[1]

ولنا في هذا الجزء من البحث وقفة مع المقاطع في الدرس اللغوي الحديث، فيها نعرف ما هو المقطع وما هي حدوده وأنواعه، وخصائص النظام المقطعي العربي وسماته، وهل كان للمقطع مكان في الدراسات الصوتية القديمة عموما، وفي دراسات ابن جني خصوصا.

1 – تعريف المقطع:

لغة: جاء في لسان العرب: « مَقْطَعُ كل شيء آخره. يقال شراب لذيذ المقطع أي الآخر والخاتمة، والمقطع غاية ما قُطع. والمقطع الموضع الذي يُقطع فيه النهر من المعابر».[2]

وجاء في المعجم الوسيط:«المَقْطَعُ من كل شيء آخره حيث ينقطع وينتهي كمقاطع الرمال والأودية والمزارع ونحوها. والمقطع من النهر الموضع الذي يعبر فيه ومقطع الحق ما يقطع به الباطل».[3]

---

[1]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 171.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ج11 /ص200 . مادة (ق ط ع).

[3]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425 هـ/ 2004 م، ص 746. مادة (قطفت).

اصطلاحا: لقد اختلف علماء الأصوات في تعريف المقطع، فبرز اتجاهان رئيسيان في تعريفه، اتجاه فونيتيكي (صوتي) واتجاه فونولوجي (وظيفي).[1]

أ- **الاتجاه الفونيتيكي:** تعددت تعريفات العلماء ومنطلقاتهم لتحديد ماهية المقطع في إطار هذا الاتجاه حيث يرى بعضهم أن:

- المقطع هو تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية – بغض النظر عن العوامل الأخرى مثل النبر والتنغيم- تقع بين حدين أدنيين من الإسماع.
- المقطع هو قطاع من تيار الكلام يحوي صوتا مقطعيا ذا حجم أعظم محاطا بقطاعين أضعف صوتيا.
- المقطع هو أصغر وحدة مركبة في تركيب الكلمة.
- المقطع هو وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة، قمة إسماع أو بروز.

وهناك من اللغويين من ركَّز على الناحية الفيزيولوجية فعرَّف المقطع على أنه نبضة صدرية، أو وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين لا تتضمن أكثر من قمة كلامية، أو قمة تموج مستمر من التوتر في الجهاز العضلي النطقي، أو نفخة هواء من الصدر.

ب – الاتجاه الفونولوجي: والفونولوجيا هي المعيار الأدق والأقرب منالا إلى تعريف المقطع[2].

وأصحاب هذا الاتجاه يعرفون المقطع بالنظر إلى كونه وحدة في كل لغة على حدة. وحينئذ لابد أن يشير تعريف المقطع إلى عدد من التتابعات المختلفة من السواكن والعلل، بالإضافة إلى النبر والتنغيم. أو إلى علل مفردة أو سواكن مفردة تعتبر في اللغة المعينة كمجموعة واحدة بالنسبة لأي تحليل آخر.

---

[1]- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 284-286.

[2]- كمال بشر، علم الأصوات، ص 505.

ولهذا فإن التعريف الفونولوجي الدقيق لابد أن يكون خاصا بلغة معينة أو مجموعة من اللغات المشتركة في خصائصها الصوتية، ولا يوجد تعريف فونولوجي عام لأن هذا يخالف الحقيقة المعروفة أن لكل لغة نظامها المقطعي الخاص.

ومما قيل في تعريف المقطع من أصحاب الاتجاه الفونولوجي:

- الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر كما في الإنجليزية. أو نغمة واحدة كما في كثير من اللغات النغمية.
- عرفه دي سوسير بأنه الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها، وعمم بعضهم مفهوم الفونيم في التعريف ليشمل الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية.
- وحدة تحتوي على صوت علة واحد وواحد فقط، إما وحده أو مع سواكن بأعداد معينة وبنظام معين.

ولنا أن نورد بعض التعاريف لبعض الدارسين العرب المحدثين وهم:

* كمال بشر: « يمكن القول بشيء من التجوز، إن المقطع من حيث بنائه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت وأصغر من الكلمة، وإن كانت هناك كلمات تتكون من مقطع واحد مثل: (منْ) بفتح الميم أو كسرها. والكلمات التي تتكون من مقطع واحد تسمى (أحادية المقطع). في حين التي تتشكل من أكثر من مقطع يطلق عليها (متعددة المقاطع) ».[1]

* تمام حسان: «المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معينة».[2]

* عاطف مدكور:« يشير المقطع إلى مجموعة من التتابعات المختلفة من الصوامت والصوائت، مع ملامح أخرى مثل النبر والتنغيم، تهتم بها اللغات كمجموعة موحدة

[1]– المرجع السابق، ص 504.

[2]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 170.

للتحليل»[1].

* رمضان عبد التواب:« المقطع الصوتي هو كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي العربية مثلا لا يوجد الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة».[2]

وجدير بالذكر أن نقدم رأيا لـــ تمام حسان في نظرته إلى المقطع، وهي أنه من الضروري الاعتراف بنوعين من المقاطع وهما: المقطع التشكيلي: وهو المقطع التجريدي المكون من حروف. والمقطع الأصواتي: وهو المقطع المحسوس والمسموع والمكون من أصوات. ودليله على ذلك أننا نجد أحيانا مقطعا تشكيليا في صورة معينة يقابله مقطعا أصواتيا له صورة مغايرة، ومثاله في ذلك كلمة عَقْلْ بقاف مقلقلة ولام ساكنة، فعلم التشكيل يقول أن القاف ساكنة ولكن بسماع الأصوات يدرك السامع أن بين القاف واللام صوت علة مركزيا هو صوت قلقلة، فالكلمة إذن مقطع واحد تشكيليا ومقطعان أصواتيا.[3]

2- مكونات المقطع:

يتكون المقطع من ثلاثة عناصر وهي: النواة، والاستئناف، والذيل.[4]

- النواة هي قمة الإسماع وعادة ما تكون حرفا صائتا.
- الاستئناف هو بداية المقطع.
- الذيل هو نهاية المقطع.

ويمكننا أن نمثل لذلك بالشكل التالي:

---

[1]- عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص 127.

[2]- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ، ص 101.

[3]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 173.

[4]- نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها، ص 77.

أ- الهامش الأول أو الاستئناف.

ب- القمة أو نواة المقطع.

ج- الهامش الثاني أو ذيل المقطع.

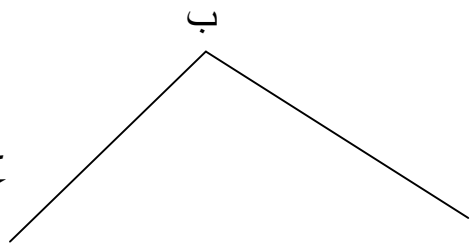

وفي اللغة العربية تمثل النقط :

أ- صوت صامت.

ب- صوت صائت قصير أو طويل.

ج- صوت صامت أو صوتان أو يكون صفرا.[1]

انطلاقا من هذا الوصف لمكونات المقطع يرى بعضهم[2] أنه من المناسب أن تقسم الفونيمات الرئيسية في العربية إلى قسمين هما:

- فونيمات مركزية: وهي الفونيمات التي تصلح أن تكون نواة المقطع، وهي الأصوات التي لها قمة إسماع عالية، وتتشكل من الحركات القصيرة: الفتحة والضمة والكسرة، مع نظائرها الطويلة الألف والواو والياء.

- فونيمات غير مركزية: وهي فونيمات مساعدة في بنية المقطع، وتتشكل من كل الأصوات الساكنة أو الصامتة أو الصحيحة.

3- أنواع المقاطع:

يختلف النظام المقطعي بين اللغات المتباعدة والتي لا تحمل خصائص صوتية مشتركة. فللعربية مثلا نظام مقطعي خاص بها، يختلف عن النظام المقطعي للغة الإنجليزية، ويختلف عن النظام المقطعي للغة أخرى، وهكذا.

وهذا الاختلاف في النظام المقطعي للغات أساسي لاكتساب طريقة النطق المطابقة لنطق أصحاب اللغة. ويرى عالم اللغة ماريوباي أن أحسن طريقة للتعود على النطق

[1]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان الأردن، ط1، 1431هـ/2010م، ص218.

[2]- سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية، ط1، 1403 هـ/ 1983م، ص 131- 132.

الصحيح للنغمات الصوتية والوقفات الموجودة في لغة أجنبية هي نطق الكلمات أو مجموعة الكلمات ببطء مقطعا مقطعا، مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع، وبالتدريج يزيد المرء من سرعة نطقه للحدث الكلامي حتى يصل إلى السرعة العادية[1].

وقد صنف اللسانيون المحدثون المقاطع الصوتية اعتبارا من معيارين[2] أولهما نهاية المقطع أو الانفتاح والانغلاق. و ثانيهما طول المقطع أو مدة النطق به.

فطبقا للمعيار الأول تنقسم المقاطع إلى:

– المقطع المفتوح: وهو المقطع الذي ينتهي بصائت ويرمز له بـــ:

(ص ح) بحيث (ص) تمثل صامت و (ح) تمثل حركة، و مثاله : (بِـــ – لِـــ)

– المقطع المغلق: وهو المقطع الذي ينتهي بصامت (ص ح ص)، ومثاله: (مِنْ).

أما بالنسبة للمعيار الثاني فتنقسم المقاطع إلى:

– مقطع قصير: وهو الذي يتكون من صامت + حركة، (ص ح) ، ومثاله:(مَـــ) في (مَدينَة).

– مقطع متوسط : وهو الذي يتكون من ثلاثة أصوات مثل. (ص ح ص)، ومثاله: (هَلْ). أو يتكون من صوتين. (ص ح ح) بحيث(ح ح = حركة طويلة)، ومثاله: (ما – لا)

– مقطع طويل: وهو الذي يتكون من ثلاثة أصوات مثل: (ص ح ح ص)، ومثاله: (بابْ). أو يتكون من أربعة أصوات مثل: (ص ح ص ص)، و مثاله: (فَجْرْ).

ومن هذا التصنيف يقسم المحدثون مقاطع اللغة العربية إلى خمسة أنواع وهي:[3]

أولا– المقطع القصير المفتوح: يتكون من صامت + حركة قصيرة، ويرمز له بـــ:(ص ح) ومثاله حروف الجر بِـــ، لِـــ

[1]– ماريوباي، أسس علم اللغة، ص97.

[2]– نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها، ص78. وأحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1999 م، ص94.

[3] - حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية، ص 213– 214. وعاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص129.

ثانيا–المقطع الطويل المفتوح: يتكون من صامت + حركة طويلة، ويرمز له بـــ: (ص ح ح) ومثاله: (كا) في(كاتِبْ).

ثالثا–المقطع الطويل المغلق:ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت، ويرمز له بـــ: (ص ح ص)، ومثاله: (بَلْ).

رابعا–المقطع المديد المغلق:ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت، ويرمز له بـــ: (ص ح ح ص)، ومثاله : (حادْ).

خامسا–المقطع الزائد الطويل: ويتكون من صامت+ حركة قصيرة+ صامت+ صامت، ويرمز بـــ: (ص ح ص ص)، ومثاله: (عَقْلْ، سَقْفْ)

وهناك من أضاف مقطعا آخرا يتكون من صامت + حركة طويلة + صامت + صامت، ويرمز له بـــ: (ص ح ح ص ص)، ومثاله (رادَّ، مادَّ) عند الوقف. وهذا المقطع لا يوجد في العربية إلا نادرا لهذا لم يذكره كثير من اللسانيين المحدثين.[1]

وهناك من فضل أن يطلق على هذه المقاطع الأسماء التالية[2]:

- المقطع القصير المفتوح (ص ح).
- المقطع المتوسط المفتوح(ص ح ح).
- المقطع المتوسط المقفل (ص ح ص).
- المقطع الطويل المقفل (ص ح ح ص).
- المقطع الطويل المزدوج الإقفال (ص ح ص ص) .

[1]– كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية ، ص 154. وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 301.

[2]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص173 .وفيصل إبراهيم صفا، قضايا التشكيل في الدرس اللغوي في اللسان العربي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1،1431 هـــ/2010م ، ص49.

4- خصائص النظام المقطعي العربي:

إن دراسة نظام المقاطع في أية لغة من اللغات يساعد على معرفة الصيغ الجائزة فيها، والصيغ الممنوعة أو الصيغ الدخيلة عليها. وبذلك كان لكل نظام مقطعي خصائص تميزه عن غيره من الأنظمة. ومن خصائص النظام المقطعي العربي ما يلي[1]:

أ- أقل ما تتركب منه الكلمة العربية هو مقطع واحد، مثل حروف الجر: بِــ، لِــ. وأكثر ما تتكون منه هو سبعة مقاطع، مثل كلمة : أَنُلْزِمُكُموها. وهذا النوع من الكلمات التي تتألف من سبعة مقاطع نادر في اللغة العربية، وأغلب الكلمات المجردة لا تكاد تزيد عن أربعة مقاطع، وإذا اتصلت بها لواحق أو سوابق يمكن أن تزيد عن أربعة.

ب- المقطع العربي لا بد أن يبدأ بصامت ولا يمكنه الابتداء بحركة كالانجليزية والفرنسية.

ج- لا يجوز أن تبدأ الكلمة العربية بصامتين أو أكثر.

د- يقيد في اللغة العربية توالي مقطعين طويلين مفتوحين (ص ح ح) و لا يسمح بتوالي ثلاثة مقاطع منها. في كلمة واحدة مجردة.

فكلمة إِبْراهيمُ يقيد فيها توالي المقطعين (ص ح ح + ص ح ح) بضرورة تحريك المقطع الأخير هكذا (ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح + ص ح).

فعند الوقف يزول هذا التوالي وينشأ التركيب المقطعي إِبْراهيمْ هكذا (ص ح ص + ص ح ح+ص ح ح ص) باندماج المقطعين الأخيرين في مقطع واحد.

هــ- لا يقبل التركيب المقطعي العربي أن يتجاوز أو يتوالى أكثر من صامتين وسط الكلمة. ففي الفعل (يَكْتُبُ) مثلا: هناك الكاف و التاء في وسط الكلمة.

1- لا يجوز وقوع المقطع الخامس في صدر الكلمة العربية أو في حشوها. فهو مقطع خاص بحالة الوقف على آخر الكلمة. وقد يكون نسيجا لكلمة عربية واحدة مثل مِصْرْ – بَيْتْ.

[1]- ينظر: حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية ، ص214-224. وكمال بشر، علم الأصوات، ص 509-510.

2- لا تقبل الكلمة العربية أن يتألف تركيبها المقطعي من مقطع طويل مغلق (ص ح ص) بعده مقطعان من الطويل المفتوح (ص ح ح) مثل كلمة سَرْغايا الأعجمية.

3- لا تقبل الكلمة العربية أن يتألف تركيبها المقطعي من المقطع الطويل المفتوح(ص ح ح) يتلوه مقطعان من النوع الثالث الطويل المغلق (ص ح ص). مثل كلمة شابَنْدَرْ الفارسية.

4- لا تقبل الكلمة العربية أن تتألف من المقطع الثاني الطويل المفتوح (ص ح ح) يتلوه مقطع زائد الطول مغلق (ص ح ص ص) مثل كلمة جومَرْتْ الأعجمية.

5- لا يقبل النظام المقطعي العربي توالي أربعة مقاطع من النوع الأول مثل: كَتَبَ + تَ = كَتَبْتَ.

لا يجوز في اللغة العربية المقطع المديد المغلق (ص ح ح ص)، إلا في حالة الوقف على الكلمة أو في وسطها، شرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق.

وهذه الحالة الأخيرة هي التي عبر عنها اللغويون القدماء بالتقاء الساكنين، وهو أن يكون الأول حرف لين والثاني مدغما في مثله، ومثاله هامَّتان، والمقطعان اللذان يعنياننا هنا هو (هامْمَــ) (ص ح ح ص + ص ح)، بحيث ختم المقطع الأول بالصامت الذي بدأ به المقطع التالي وهو (مْــ).

5- المقطع في الدراسات العربية القديمة:

ورد مصطلح المقطع في التراث العربي بمعانٍ مختلفة، ولنا أن نشير إلى اثنين منها وهما:

المعنى الأول: صاحبه الفارابي[1]، والذي يقول في كتابه (الموسيقى الكبير): «كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه

[1]- الفارابي: هو إسحاق بن إبراهيم الفارابي أبو إبراهيم، صاحب (ديوان الأدب)، مات قريبا من سنة خمسين وثلاثمائة هجرية، وقيل في حدود السبعين من عمره. يراجع: السيوطي، بغية الوعاة، ج1/ص43 .

الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات. وكل حرف لم يتبع بصوت أصلا. ويمكن أن يقرن له فإنه يسمونه الحرف الساكن. وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل»[1].

و إذا حللنا هذا القول يتضح لنا أن الفارابي قد فات زمانه عندما أدرك فكرة المقطع بصورة تشبه أو تماثل تصور المحدثين. فهو يرى أن المقطع عبارة عن تتابعات من الصوامت والصوائت. كما أدرك خواص المقطع من حيث الطول والقصر وهو ما توصل إليه العلماء المحدثون.

وقد أشار كمال بشر إلى أن اكتفاء الفارابي بمثالين (المقطع القصير والمقطع الطويل) لا يعني عدم إدراكه بقية الأنماط المقطعية للغة العربية. إنما أوردها على ضرب من التمثيل لكيفيات تركيب المقاطع وبنائها. والنعت بـــ: (القصير والطويل) دليل على استيعابه فكرة اختلاف المقاطع باختلاف مكوناتها.[2]

المعنى الثاني: صاحبه ابن جني، وقد ذكر ابن جني كلمة المقطع عند حديثه عن مخارج الحروف فقال: « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته. فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف الحروف بحسب اختلاف مقاطعها »[3]. كما ذكر أيضا كلمة المقاطع في قوله: «ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع، وفي السجع كمثل ذلك...».[4]

وإذا حللنا هذين النصين يتضح لنا أن ابن جني استعمل كلمة مقطع ومقاطع بمفهوم غير الذي يعرفه ويفهمه العلماء المحدثون.

---

[1]- الفارابي، الموسيقى الكبير، تحـــ: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر، دط، دت، ص107.

[2]– كمال بشر، علم الأصوات، ص508 .

[3]– ابن جني ، سر صناعة الإعراب، مجـــ1 / ص19.

[4]– ابن جني ، الخصائص، ج1/ص86 .

فالمقطع عند ابن جني – في النص الأول – هو المكان الذي يقطع فيه الهواء عند خروجه من الرئتين ومروره بالحلق والفم والشفتين. وهذا المفهوم مماثل للمفهوم اللغوي الذي ينصُّ على أن المقطع هو الموضع الذي يقطع فيه النهر من المعابر.

وفي النص الثاني جاء مفهوم المقطع بمعنى (الآخر): مقطع كل شيء آخره. فمقطع الشعر القوافي، ومقطع النثر السجع.

فالمفهومان إذن بعيدان عن المفهوم الحديث لكلمة المقطع.

وخلاصة القول: المقطع في الدراسات العربية القديمة كمصطلح لم يكن له مكان بارز وواضح المعالم، فقد رأينا إشارة له عند الفارابي، بحيث اكتفى بالتمثيل له دون محاولة تعريفه أو وضع حدود له. كما رأينا أن ابن جني تحدث عن المقطع بمفهوم مغاير للمفهوم الحديث لهذا المصطلح.

بقي لنا أن نبحث عن المقطع كمفهوم في دراسات ابن جني.فهل كان ابن جني يفقه فكرة المقطع أم لا؟

6- المقطع عند ابن جني:

يشير بعض العلماء المحدثين إلى أن الدراسة المقطعية بدأت إشارات متناثرة في ثنايا مؤلفات العلماء القدماء. فإذا عرجنا على الدراسات العروضية القديمة دون أن نضع في الحسبان المصطلح؛ أي المقطع، فإننا سنقف على تشابه لافت للانتباه بين نظام العروض العربي من جهة، ونظام المقاطع الصوتية في الدرس اللساني الحديث من جهة أخرى. فقد اهتدى أصحاب النظام الأول إلى التقطيع ونصوا على أنه يقتصر على ما يشمله التحقيق الصوتي، أو ما تؤديه آلة التصويت.[1]

[1]– مهدي بوروبة، أصول الدراسة المقطعية في التفكير اللغوي عند العرب، مجلة الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة الجزائر، العدد2، ماي 2003 م، ص 87.

وقد توصلنا فيما سبق إلى أن ابن جني أورد مصطلح المقطع للدلالة على مخرج الحرف، لا للدلالة على المفهوم الحديث لهذا المصطلح. إلا أننا نرى أن ابن جني كان – ككثير من النحاة القدماء – بتعليلاته لكثير من الصيغ الصرفية المرفوضة في اللغة العربية يؤكد على أنه كان يفقه فكرة المقاطع، وإن لم يذكرها.

فابن جني كان يعلل لكثير من الصيغ المرفوضة بظواهر لغوية أخرى كالإبدال والإدغام والإعلال وعدم التقاء الساكنين وغيرها. وهذه الظواهر قد لقيت مكانها في مجال التعليل الصوتي الحديث. فكثيرا ما نجد العلماء المحدثين يعللون لهذه الظواهر بهروب الناطق العربي من ظروف معينة ترفض نوعا من المقاطع في اللغة العربية.

ونقول إن ابن جني كان يفقه فكرة المقاطع؛ لأنه كان يعرف أن للعربية نظاما تسير عليه، وتبني صيغها وفقه، لذلك علل للصيغ المرفوضة بظواهر لغوية كالإعلال والإدغام وغيرها من الظواهر تارة، وتارة أخرى بتعليلات صوتية بسيطة كالثقل وقوة الكلفة في النطق.

ولكي نوضح ما نصبوا إليه أكثر يمكننا أن نمثل لبعض الصيغ المرفوضة، ونرى كيف علل ابن جني على رفضها. وكيف يعلل الدرس الصوتي الحديث على رفضها أيضا.

وفي البدء لابد أن نشير إلى أنه رغم الحضور الهائل للمقطع المتوسط المقفل(ص ح ص) في اللغة العربية، إلا أن هناك ظروف قد تعتري هذا المقطع فتوجب رفضه وتحوله. وذلك أن ينتهي هذا النوع من المقاطع بشبه / نصف حركة؛ أي بواو غير مدية أو بياء غير مدية، مسبوقة بحركة كسر أو ضم قصيرة هكذا:

ـ ـ ـِ يْ ـ ـ ـُ يْ

ـ ـ ـِ وْ ـ ـ ـُ وْ

هذه الظروف تمنع بقاء المقطع، وتستوجب التخلص منه، ما لم يتل هذا المقطع بمقطع مبدوء بمثل ما انتهى به المقطع الأول مثل حَمِيَّة ـــــــــ مِيْيَـ[1]

[1]– ينظر: فيصل إبراهيم صفا ، قضايا التشكيل في الدرس اللغوي، ص 52– 53.

وللتخلص من هذا النوع من المقاطع غير وسيلة في اللغة العربية من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

عند الاشتقاق من الفعل الثلاثي المعتل الفاء على وزن مِفْعال، ينتج هذا النوع من المقاطع كما يلي : وَعَدَ ـــــــ مِوْعاد ـــــــــــــ ميعاد.

يرى الدرس الصوتي الحديث أن كلمة مِوْعاد تحتوي على مقطع يستوجب التخلص منه وهو (مِوْ).

ويكون التخلص منه بحذف الواو غير المدية وتعويضها بمطل الحركة قبلها.[1]

أما ابن جني فيقول في ذلك: « إن ياء نحو ميزان، وميعاد، انقلبت عن واو ساكنة، لثقل الواو الساكنة بعد الكسرة، وهذا أمر لا لبس في معرفته، ولا شك في قوة الكلفة في النطق به. ويضيف: كذلك قلب الياء في موسِر و موقِن واوا؛ لسكونها وانضمام ما قبلها. ولا توقف في ثقل الياء الساكنة بعد الضمة؛ لأن حالها في ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة. ثم يقول في ذلك: وهذا – كما تراه – أمر يدعو الحس إليه، ويحدو طلب الاستخفاف عليه ».[2]

من هذا القول نستنتج أن ابن جني كان يفقه أن هناك نظاما يقيد الصيغ العربية؛ فعلل على رفض مِوْعاد بثقل الواو الساكنة بعد الكسرة، وعلى رفض مُيْسِر لثقل الياء بعد الضمة. وقال أن هذا الرفض أمر يدعو الحس إليه.

ولتوضيح أكثر نشير إلى مثال آخر:

يقول ابن جني: « ومن ذلك تسكينهم لام الفعل إذا اتصل به علم الضمير المرفوع، نحو ضَرَبْتُ وضَرَبْنَ وضَرَبْنا، وذلك أنهم أجرو الفاعل هنا مجرى الجزء من الفعل فكره اجتماع الحركات الذي لا يوجد في الواحد. فاسكنوا اللام إصلاحا للفظ فقالوا: ضَرَبْتُ».[3]

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 53 – 54.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج 1 / ص 58.

[3]– المصدر نفسه، ج 1 /ص 273.

إذن ابن جني علل تسكين لام الفعل عند اتصاله بعلم الضمير المرفوع بكره اجتماع الحركات.

أما الدرس الحديث فيعلل تسكين اللام هنا بعدم جواز توالي أربعة مقاطع من النوع الأول في النظام المقطعي العربي.

الفصل الثالث

المظاهر السياقية عند ابن جني

- توطئة
- المبحث الأول:النبر
- المبحث الثاني:التنغيم
- المبحث الثالث:الفواصل الصوتية

توطئة:

تُعد الظواهر السياقية من المباحث التي تعتني بها الصوتيات التركيبية، كون الظواهر السياقية تظهر خلال السياق، أي خلال ضم الحروف مع بعضها البعض وتشكيل كلمات ثم ضم الكلمات مع بعضها البعض وتشكيل جمل.

ومن الظواهر السياقية النبر والتنغيم والفواصل الصوتية. وهي مباحث فصلنا هذا، بحيث سنتطرق لكل ظاهرة سياقية على حدة، نحدد مفهومها، ونتحدث عن ما يميزها عن غيرها: من درجات، ووظائف، وغيرها، ثم نبحث عنها في دراسات ابن جني كمصطلحات أولا ثم كمفاهيم.

فهل درس ابن جني النبر والتنغيم والوقف في كتبه؟

وإذا كان الجواب نعم، فهل ذكرها بهذه المصطلحات أم اصطلح عليها مسميات أخرى؟ أم أنه لمَّح وأشار إليها فقط دون أن يدرسها دراسة وافية؟

المبحث الأول: النَّبر:

1- تعريف النبر:

لغة: النَّبْرُ بالكلام الهَمْزُ. يُقال: وكل شيء رفع شيئا فقد نَبَرَهُ، والنبر مصدر نَبَرَ الحرف يَنْبُرُهُ نَبْرًا هَمَزَهُ. وفي الحديث قال رجل للنبي (صلى الله عليه وسلم): يا نبيء الله، فقال: لا تنبر باسمي. أي لا تهمز.

وفي رواية قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنا معشر قريش لا ننبر. والنبر همز الحرف. قال ابن الأنباري: النبر عند العرب ارتفاع الصوت. يقال: نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو.[1]

وجاء في المعجم الوسيط: « نَبَرَ الشيء نَبْرًا رَفَعَهُ. ويقال نبر في قراءته أو غنائه؛ رفع صوته. ونبر الحرف: همزه. والنبر في النطق: إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق».[2]

اصطلاحا: النبر معناه أن مقطعا من بين مقاطع متتابعة يعطى مزيدا من الضغط أو العلو أو يعطى زيادة أو نقصا في نسبة التردد.[3]

أو هو وسيلة صوتية تبرز بواسطتها عنصرا من السلسلة الصوتية، قد يكون مقطعا أو لفظا أو جملة. والنبر يكون بواسطة الشدة في النطق أو ارتفاع النغمة أو المد.[4]

ويعرفه كمال بشر بأنه يعني: « نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره». ويضيف « النبر يتطلب عادة بدل طاقة في النطق أكبر نسبيا. كما يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد».[5]

---

[1] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ص 897. مادة (ن ب ر).

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ج14 /ص15– 16. مادة (ن ب ر).

[3] - ماريوباي، أسس علم اللغة، ص93.

[4] – مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، ص40.

[5] – كمال بشر، علم الأصوات، ص512–513.

ويسميه محمود السعران (الارتكاز)، ويعرفه بقوله: «الارتكاز هو درجة قوة النفس التي يُنطق بها الصوت أو المقطع».[1]

وعلى ما يبدو فإن جميع هذه التعريفات يتفق على أن النبر يتطلب جهدا عضليا إضافيا على الجهد العادي لنطق الأصوات.

والدارس للنبر في لغات مختلفة يلحظ أن النبر لا يستخدم في كل اللغات للتفريق بين المعاني. وبالتالي فهو ليس فونيما في كل اللغات.

وتسمَّى اللغات التي تستخدم النبر كفونيم: اللغات النبرية. والأخرى: لغات غير نبرية.

ومن أمثلة اللغات غير النبرية: اللغة الفنلندية، واللغة التشيكية، واللغة البولندية، واللغة الفرنسية، واللغة الهنغارية، وتتميز هذه اللغات بأنها تثبت النبر في مكان معين، مثلا على المقطع الأول دائما، كما في اللغتين الفنلندية والتشيكية. أو على المقطع الأخير دائما، كما في اللغة الفرنسية.

أما اللغات النبرية فاللغة الإنجليزية مثال جيد لها وتتميز هذه اللغات – اللغات النبرية– باستخدامها النبر كفونيم، فيكون موضع النبر فيها حرا، ويستخدم للتفريق بين المعاني أو الصيغ عن طريق تغيير مكانه.[2]

2–درجات النبر:[3]

تنقسم درجات النبر إلى ثلاثة أقسام وهي:

– النبر القوي أو الارتكاز القوي: ويكون ضغطه وأثره السمعي على مقطعه الصوتي أقوى وأوضح من أي مقطع آخر.

---

[1]– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، دط، دت، ص189.

[2]– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص222.

[3]– ينظر: محمود السعران، علم اللغة، ص190. والخويسكي، الأصوات اللغوية، ص118.

مثال كلمة(ضَرَبَ) عند النطق بها نجد أن (ضَ) ينطق بنبر وارتكاز أكبر من (رَ) ومن (بَ).

– النبر الوسيط أو الارتكاز الثانوي أو الوسيط: ويكون ضغطه وأثره السمعي على مقطعه الصوتي أقل من النوع الأول. وذلك نحو كلمة (مُستَحيل) نجد أن (مُسْ) قد ظهر عليها أثر النبر وهو وسيط.

– النبر الضعيف أو الارتكاز الضعيف: ويكون ضغطه وأثره أقل وأدنى من النوع الثاني.

3– وظائف النبر:

أحصى الباحثون وظائف عديدة للنبر سنذكر منها ثلاث وظائف هامة وهي:

– الوظيفة المميِّزة:[1] بواسطة تحديد أماكن النبر يمكن تحديد هوية الكلمات أسماء هي أم أفعال، وكذا معانيها المتنوعة. وهذه الوظيفة تظهر في اللغات النبرية التي يعد فيها النبر فونيما– كما سبق وذكرنا– مثل اللغة الإنجليزية التي تفرق بين الاسم والفعل في بعض الأحيان باختلاف مواضع النبر، حيث نجد نبر المقطع الأول في الأسماء، أما إذا نبر المقطع الثاني تحولت الأسماء إلى أفعال.

– الوظيفة المعيِّنة:[2] وهي تابعة للغات غير النبرية كاللغة التشيكية التي يكون النبر فيها في المقطع الأول دائما، وهذا يساعدنا على تعيين بداية الكلمة ونهايتها على مستوى الكلام المتصل.

– الوظيفة الإدغامية: ومفادها أن النبر يساهم في إبراز القيمة التعبيرية لبعض أجزاء الجمل التي يلحق بها.[3] ولهذا فإن هذه الوظيفة تخص نبر الجملة، وتنوع النبر ودرجاته

[1] -زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص93.

[2] -المرجع نفسه، ص94.

[3] -المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

في الجملة يفيد التأكيد أو المفارقة، حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى قصدا إلى بيان هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة.[1]

4- النبر في اللغة العربية:

اختلفت آراء العلماء حول وجود النبر في اللغة العربية الفصحى بين مقرٍّ بوجوده ومعارض على ذلك.

فنجد أن كارل بروكلمان يقول: « في اللغة العربية القديمة، يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعا طويلا فيقع عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها ».[2]

أما المعارض لوجوده نجد: برجشتراسر يقول:«إنه لا نص نستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن، ومما يتضح من اللغة نفسها ومن وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها أو لم يكد يوجد، وذلك أن اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها، ومد الحركات المضغوطة. وقد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية ».[3]

ورأي برجشتراسر في أنه لا نص نستند عليه في النبر صحيح؛ لأن النحاة لم يقعدوا للنبر ومواضعه في اللغة العربية كما قعدوا لقضايا النحو والصرف. ويقول إبراهيم أنيس في هذا الصدد: « ليس لدينا من دليل يهدينا إلى مواقع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى؛ إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء».[4]

---

[1] -كمال بشر،علم الأصوات، ص515.

[2] – رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة، ص103.

[3] -المرجع نفسه، ص104.

[4] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دط، دت، ص 139.

ولمَّا كانت دراسة النبر غائبة عند القدماء فقد رأى بعض الباحثين أن دراسته في اللغة العربية الفصحى يتطلب شيئا من المجازفة. ومن هؤلاء الباحثين تمام حسان، والذي يرى أن دراسة النبر والتنغيم في اللغة العربية الفصحى يتطلب شيئا من المجازفة، ذلك لأن العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها، ولم يسجل لنا القدماء شيئا عن هاتين الناحيتين.[1]

وعلى الرغم من ذلك قام العلماء المحدثون ولم يقفوا أمام استنباط قيم النبر ومواضعه في اللغة العربية الفصحى موقف العاجز المتحجج بفقدان دراسات النبر في عصر الفصاحة، وعمدوا إلى القراءات القرآنية على لسان القراء. فهي الممثلة وإلى حد كبير للنطق العربي الفصيح. واستنبطوا على هديها مواضع النبر في اللغة العربية.

ومن بين هؤلاء العلماء إبراهيم أنيس الذي قام بتلخيص مواضع النبر في العربية بقوله: «ينظر أولا إلى المقطع الأخير فإن كان من النوعين الرابع أوالخامس كان هو موضع النبر، وإلا نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير. فإن كان من النوع الثاني أو الثالث حكمنا بأنه موضع النبر.أما إذا كان من النوع الأول، نظر إلى ما قبله، فإن كان مثله؛ أي من النوع الأول أيضا كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة. ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا في حالة واحدة وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول».[2]

هذه هي مواضع النبر في الكلمة العربية، إلا أنه قد يعتري الكلمة بعض الأحوال التي تغير هذا الموضع، من ذلك:[3]

- الاشتقاق: نحو (كَتَبَ) يكون النبر على الكاف، فإذا قلنا (يَكْتُبُ) كان النبر على التاء.
- مع أحرف الجزم: (يَكْتُبُ) النبر فيها على التاء، و(لَمْ يكْتُبْ) النبر فيها على الكاف.

---

[1] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص197.

[2] -إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 140.

[3] – ينظر: نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها، ص 81–82.

– عند إسناد الفعل إلى الضمائر: مثال في (كَتَبَ) النبر على الكاف، وفي (كَتَبْتُ) و(كَتَبْنَا) النبر على التاء.
– مع أحرف العطف : مثل (سارِعوا) النبر على ألف المد من (سا). وفي (وَسارِعوا) نبر ثانوي على (وَ)، ونبر أولي على (رِ)، فتصبح كأنها كلمتان وهما (وَسا) و(رِعوا).

هذا فيما يخص النبر على مستوى الكلمة المفردة ومن الملاحظ أن اللغة العربية لغة ليست نبرية على مستوى الكلمة؛ لأن تغير النبر على مستوى الكلمة لا يؤدي إلى تغير المعنى.

أما فيما يخص النبر على مستوى الجملة أو التركيب، فللمتكلم الاختيار الأكبر للكلمة التي سيعطيها نبرا أقوى وأعلى، وهذا على حسب المعنى الذي يريد أن يوصِله للسامع.

ففي جملة (هل سَافَر أخوك أمس؟) مثلا، إذا كان النبر على كلمة (سافَرَ) كان الشك في الحدث (السفر)، وإذا كان النبر على (أخوك) كان الشك في الفاعل، وإذا كان النبر على (أمس) كان الشك في الزمن، وهكذا يظهر أن اختلاف مواضع النبر يؤدي إلى التفريق بين المعاني، وتعيين مقصد المتكلم.

وبما أن النبر على مستوى الجملة واختلاف مواضعه يؤدي إلى تغيير المعنى يمكننا القول أن اللغة العربية لغة نبرية على مستوى الجملة.

5- <u>النبر عند ابن جني:</u>

لا يحتل النبر مساحة واسعة في الوسط الصرفي العربي؛ لأنه لا يستخدم كفونيم– كما سبق وذكرنا– إلا أن هذا لا يعني أبدا عدم وجوده في اللغة العربية الفصحى. إذ لا تكاد تخلو لغة من النبر. ودليل وجوده ما توصل إليه علماء اللغة المحدثون من تحديد مواضع النبر في اللغة العربية.

في حين أن العلماء القدماء لم يحللوا له ولم يسجلوه. كما أنهم لم يضعوا له قواعد مثل قواعد النحو والصرف وعلوم اللغة الأخرى.

وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أنه رغم ورود مصطلح النبر في البحوث الصوتية القديمة، إلا أنه كان يعني الهمز؛ أي تحقيق نطق الهمزة. ولم يدرس على أنه الضغط على بعض مقاطع الكلام.

أما عن النبر كمفهوم فالدارس للتراث العربي يجد غير إشارة لهذا المفهوم في مؤلفات علمائنا الأجلاء. وسنركز في هذا المقام على ما أشار إليه مؤلفنا ابن جني.

يقول ابن جني في كتابه الخصائص في(باب في مطل الحركات): « وإذا فعلت العرب ذلك[1] أنشأت عن الحركة حرفا من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو».[2] ثم يمثل لذلك ويقول: «والألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما حكاه الفراء[3] عنهم: أكلت لحما شاة: أراد لحم شاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا».[4]

ويضيف :«ومن إشباع الكسرة ما جاء عنهم في الصياريف والمطافيل والجلاعيد[5]» . والمراد الصيارف والمطافل والجلاعد.

أما عن مطل الضمة فيقول:« ومن مطل الضمة القرنفول » [6] والمراد القرنفل. وذكر ابن جني أيضا أن« الحركات عند التذكر يمطلن حتى يفين حروفا وذلك كقولهم عند التذكر مع الفتحة قُمْتَ:قُمْتا، أي قمت يوم الجمعة ونحو ذلك. ومع الكسرة أنتي: أي أَنْتِ عاقلة، ونحو ذلك. ومع الضمة قُمْتُو، في قُمْتُ إلى زيد، ونحو ذلك[7] ».

---

[1]– ذلك أي: إذا مطلت الحركات.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج3/ص86.

[3]– الفراء هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، ولد بالكوفة سنة (144هـ)، أخذ عن الكسائي، توفي سنة (207هـ). يراجع: رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ص41.

[4]– ابن جني، الخصائص، ج3/ص87.

[5]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6]– المصدر نفسه، ج3/ص88.

[7]– المصدر نفسه، ج3/ص91.

فالمطل عند ابن جني، في ما أورد: هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف، إذا ما علمنا أن الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة والواو ضعف الضمة. والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع؛ لتحقيق غرض قصدي.[1]

وهناك في كتاب الخصائص إشارة أخرى إلى النبر حين يتكلم ابن جني عن حذف الصفة إذ يقول:« وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب[2] من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك» [3].

فكلمات ابن جني الواردة في هذا النص: التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم تشير إلى النبر ويتضح هذا من خلال معانيها.

فكلمة التطريح تعني تطويل الشيء ورفعه وإعلاءه. والتطويح من طوح به ذهب هنا وهناك. وأما التفخيم فهو عند اللغويين المحدثين ظاهرة صوتية تحدث عن حركة عضوية تعطي للصوت قيمة صوتية مفخمة.

ومن خلال عرضنا لمفاهيم هذه الكلمات نجد اتفاقا لهذه المفاهيم مع مفهوم النبر بمعناه الحديث، فهو أيضا عملية عضلية يقصد منها ارتفاع الصوت وعلوه.[4]

ويضيف ابن جني:« وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا! فتزيد من قوة اللفظ بـــ: (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما

---

[1]– عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص241.

[2] – صاحب الكتاب يقصد به: سيبويه.

[3]– ابن جني، الخصائص، ج2/ص252.

[4]– صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المؤسسة الثقافية الجامعية، الإسكندرية مصر، دط،2007 م، ص197.

أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكن الصوت بـــ (إنسان) وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق. قلت: سألناه وكان إنسانا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك:إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك».[1] فتعيين ابن جني اللام في كلمة(رجلا) لتكون محلا للتمطيط والإطالة يدل بوضوح على أن هذه القوة والتمكن في النطق لا تقع على جميع مقاطع الكلمة، وإنما على جزء منها، وكذلك يكون الجزء المنبور أطول منه حين يكون غير منبور. وهناك علاقة بين النبر وطول المقطع وهو ملحظ لم يفت ابن جني التنبيه عليه بقوله:« وإطالة الصوت بها ».

وهكذا يكون ابن جني قد أدرك النبر بمفهومه الحديث من حيث طول الصوت وعلوه وقوته. وإن لم يذكره بلفظه، ووصفه دلاليا أغنى عن التصريح بالأوصاف.[2]

[1]– ابن جني، الخصائص، ج2/ص252.

[2]– عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، ص33– 34 .

المبحث الثاني: التنغيم.

1- تعريفه:

يعرف التنغيم على أنه نوع من موسيقى الكلام، بواسطته يتسنى للدارس أن يعرف كثيرا من خصائص الكلام، كالتفريق بين الجملتين المثبتة والاستفهامية، ولا سيما إذا لم توجد صيغ نحوية خاصة تقوم بهذا التفريق. وأكثر ما يوجد في اللهجات العامية.[1]

ويعرفه ماريوباي على أنه: « تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعية في حدث كلامي معين».[2]

ويعرفه تمام حسان بأنه: «ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام».[3]

والتنغيم (Intonation) يختلف عن النغمة(Tone)؛ فكلاهما فونيم غير تركيبي، إلا أن التنغيم يوظف على مستوى العبارة أو الجملة، أما النغمة فتكون على مستوى الكلمة المفردة مثل: نعم، بلا، لا،...[4] وقد جاء في لسان العرب النغمة: « جرس الكلمة».[5]

ومن هذا الفصل بين التنغيم والنغمة، نجد أن التنغيم موجود في معظم اللغات كالعربية والإنجليزية وغيرها، إذ يؤدي فيها التنغيم أدوارا مختلفة، فيميز بين كل لغة وأخرى، بل أنه يميز بين لهجات اللغة الواحدة؛ لأنه لكل لهجة عادات نغمية مميزة للمجتمع الذي ينطق بها.

أما النغمة فنجد هناك لغات نغمية وهي: « لغات تستعمل النغمات بوصفها فونيمات تقوم بدور وظيفي لتحديد دلالة الكلمات ».[6]

فاللغات النغمية تستعمل النغمة استخداما تمييزيا بين الكلمة الواحدة فإذا نطقت بنغمة معينة أشارت إلى معنى وإذا تغيرت النغمة التي نطقت بها تغير المعنى تماما.

---

[1]– محمد التو نجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، مجـــ1/ص207.

[2]– ماريوباي، أسس علم اللغة، ص93.

[3]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص198.

[4]– نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة، ص136–137.

[5]– ابن منظور، لسان العرب، ج14/ص212. مادة (ن غ م).

[6]– كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص163.

ومثال ذلك الكلمة اليابانية (Hanna) (هانا) إذا نطق مقطعاها بنغمة عادية كان معناها (الأنف)، وإذا نطق مقطعها الأول بنغمة عالية كان معناها (البداية)، وإذا نطق مقطعها الثاني بنغمة عالية كان معناها (الزهرة).[1]

2- درجات التنغيم:[2]

تُعيَّن درجات التنغيم بالنظر إلى النغمات التي ينتهي بها الكلام المنطوق.

وقد حصر كمال بشر النغمات الرئيسية للتنغيم في نغمتين اثنتين، وكان هذا الحصر أو التقسيم مبنيا على اعتبار نهاية المنطوق فقط. أما إطاره الداخلي فلم ينظر إليه، فحسبانه النغمات اثنين كان انطلاقا من النهاية لا الوحدات الداخلية المتناثرة في المنطوق وبذلك تحصلنا على نغمتين هما:

أ- النغمة الهابطة(Falling tonne): وسميت كذلك للاتصاف بالهبوط في نهايتها.
ومن أمثلتها: الجمل التقريرية.

مثال: محمود في البيت، تنطق كلمة البيت بنغمة هابطة.

ب- النغمة الصاعدة (Rissing tonne): وسميت كذلك لصعودها في نهايتها.
ومن أمثلتها: الجمل الاستفهامية التي تستوجب الإجابة بلا أو نعم.

مثل: محمود في البيت؟ تنطق كلمة البيت هنا بنغمة صاعدة.

وقد أضاف تمام حسان :(النغمة المسطحة) وقال: « لا هي بالصاعدة ولا هي بالهابطة ». وتكون عند وقف المتكلم قبل تمام المعنى ومن أمثلتها الوقف عند كل فاصلة مكتوبة في الآيات التالية:

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠﴾ [القيامة 7- 10].

---

[1]- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة، ص137.

[2]- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 534-537.

فالوقف على (البصر) و(القمر) أولا و(القمر) ثانيا وقف على معنى لم يتم، فتظل نغمة الكلام مسطحة، أما الوقف عند المفر فالنغمة فيه هابطة لأنه وقف عند تمام معنى الاستفهام.[1]

3- وظائف التنغيم:

للتنغيم وظائف عديدة، وعلى ما يبدو أهم وظيفة له هي الوظيفة النحوية، إذ تعتبر « الوظيفة الأساسية للتنغيم، فهي العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب والتفريق بين أجناسه النحوية ».[2]

فالتنغيم يمكّننا من التفريق بين أنماط الجمل من تقريرية واستفهامية وغيرها.

فإذا نطقت الجملة بنغمة صاعدة تكون استفهامية، وإذا نطقت بنغمة هابطة تكون تقريرية.

وبالإضافة إلى الوظيفة النحوية للتنغيم وظائف أخرى وهي:

– الوظيفة الدلالية السياقية[3]: تظهر هذه الوظيفة في حالات مثل الرضا والقبول والزجر والتهكم والغضب والتعجب والدهشة والدعاء بحيث تأتي العبارة أو الجملة بأنماط تنغيمية مختلفة، وعادة ما تؤدي النغمات في هذه المواقف دورها بمصاحبة ظواهر صوتية أخرى كالنبر القوي، أو ظواهر خارجية كرفع اليد أو الحاجب، وتتعلق هذه الظواهر بالظروف والمناسبات التي ألقي فيها الكلام.

– الوظيفة التعبيرية:[4] والتنغيم في إطار هذه الوظيفة يعطي إمكانية استيضاح شخصية المتكلم وانتمائه إلى هذه الفئة الاجتماعية أو تلك.

---

[1]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 230.

[2]– كمال بشر، علم الأصوات، ص541.

[3]– المرجع نفسه، ص539.

[4]– نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها، ص89. وينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص540.

وفي الأخير، نضيف أن التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة.[1] فإذا كان للنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التعجب دور في إظهار المعنى الوظيفي للجملة المكتوبة فللتنغيم الدور نفسه في الكلام المنطوق. بل له الدور الأكبر في بيان المعنى الوظيفي للكلام المنطوق لاتساعه وتعدده، ومحدودية علامات الترقيم.

4- التنغيم عند ابن جني:

إن البحث عن التنغيم في التراث اللغوي أمر مُخْتَلَف في النظر إليه وإلى نتائجه.

فالباحث عن دراسات علمية شاملة عن التنغيم تعرفه وتحدد درجاته ووظائفه، وتشبه أو تعادل دراسات قضايا النحو والصرف لا يجد من بحثه جدوى، ولا يخرج بنتيجة.

أما الباحث عن مدى وعي علماء اللغة القدماء بظاهرة التنغيم، فيجد غير إشارة تدل على هذا الوعي بهذه الظاهرة الصوتية. من ذلك ما ذكره سيبويه في كتابه في باب الندبة:[2] « اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف. لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها»، يترنمون فيها يعني: أنهم يلونونها بموسيقى معينة ونمط من التنغيم خاص.[3]

أما عند شيخنا ابن جني، فقبل الحديث عن مدى وعيه ومعرفته للتنغيم ودوره ينبغي أن نشير هنا إلى أن التنغيم وثيق الصلة بالنبر. فلا يكون التنغيم إلا على مقطع منبور.

وها هو تمام حسان يقول:« إن هبوط النغمة أو صعودها أو تحولها عن المستوى السابق في وسط الكلام أو في آخره، لا يكون إلا متفقا مع النبر. فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور. وهذه الصلة بين النبر والتنغيم. لا يمكن انفكاكها. ولذلك

---

[1]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص222.

[2]– سيبويه، الكتاب، تحـــ: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـــ/1999م، مجـــ2/ص225.

[3]– كمال بشر، علم الأصوات، ص550.

يكثر أن يقف المرء عند أحد المعاني باحثا عما إذا كان هذا المعنى وظيفة النبر بمفرده أو التنغيم بمفرده.ثم لا يستطيع الجزم بأنه وظيفة أحدهما على انفراد[1]».

وتمام حسان على حق عندما قال أن المرء يقف عند أحد المعاني باحثا عما إذا كان للنبر أو للتنغيم. فكثيرا ما نجد نص ابن جني في حديثه عن (حذف الصفة) شاهدا على وعيه بظاهرة النبر تارة.[2] وعلى وعيه بظاهرة التنغيم تارة أخرى.[3]

ولنا أن نقول أن هذا النص شاهد على وعي ابن جني بالظاهرتين معا. فالتنغيم– كما سبق وذكرنا– أثناء أدائه لوظيفته الدلالية السياقية عادة ما يصاحبه نبر قوي أو ظواهر خارجية كالإشارات الجسمية.

وفي هذا النص – نص حذف الصفة– إشارة من ابن جني إلى هذا. وبهذا يكون قد جمع النبر والتنغيم معا.

ونقف على نص آخر لابن جني يؤكد على أنه كان على وعي بظاهرة التنغيم في العربية، ودورها الكبير في تحديد دلالات الكلام.[4] وذلك تحت عنوان (باب في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها) يقول فيه: « ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا وذلك قولك: مررت برجل أي رجل. فأنت الآن مخبرا بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيما رجل، لأن ما زائدة، وإنما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر، والتعجب ضرب من الخبر، فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله من الخبرية. ومن ذلك لفظ الواجب إذا لحقه همزة التقرير عاد نفيا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابا. وذلك قوله تعالى ﴿...ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ... ﴾ [المائدة من الآية 116] أي: ما قلت لهم، و قوله تعالى﴿... ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ...ۖ ﴾

---

[1]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص230.

[2]– من الذين قالوا بهذا: عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، ص33.

[3]– من الذين قالوا بهذا: كمال بشر، علم الأصوات، ص551. وكريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص165.

[4]– خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1،2006م، ص151.

[يونس من الآية 59] ؛ أي : لم يأذن لكم. وأما دخولها على النفي كقوله تعالى﴿...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ... ﴾ [الأعراف من الآية 172] أي: أنا كذلك».[1]

وقد أشار كمال بشر إلى كلمة النغم الواردة في كلام ابن جني في مقدمة كتابه سر صناعة الإعراب حين قال :« اعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم[2]» فالتعبير بمصطلح (النغم) فيه دلالة واضحة على إدراكه أن الكلام المنطوق يصدر منغما وأن هذا التنغيم جزء لا يتجزأ من خواص الكلام.[3]

وخلاصة القول: ابن جني وإن لم يستعمل مصطلح التنغيم إلا أن كلامه تضمن مفهومه، مما دل على وعيه به، ومعرفته لدوره في عملية الفهم والإفهام.

[1]– ابن جني، الخصائص، ج3/ص192.

[2]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـ1/ص22.

[3]– كمال بشر، علم الأصوات، ص550.

المبحث الثالث: الفواصل الصوتية

الفواصل الصوتية هو مصطلح يطلق على مجموعة من الظواهر الصوتية التي تشكل مع ظواهر أخرى- كالنبر والتنغيم- تلوينا موسيقيا خاصا بالمنطوق، يحدد طبيعة التركيب وماهيته ودلالته وهذه الفواصل هي: الوقفة (Stop)، والسكتة(Pause)، والاستراحة أو أخذ النفس. وكلها ذات خطر وبال في صحة الأداء الصوتي وتجويده، وفي التحليل النحوي والدلالي للتراكيب.[1]

وفيما يلي وقفة موجزة عند كل نوع من أنواع هذه الفواصل الصوتية.

1- الوقف (الوقفة):

هو مظهر من المظاهر السياقية، وفونيم من الفونيمات الثانوية يميز النظام الصوتي للغة، وبواسطته نتمكن من التمييز بين الأداء الكلامي لأبناء اللغة وغيرهم من الأجانب الذين يتعلمونها.

والوقف لغة هو الحَبْسُ والمَنْعُ. جاء في لسان العرب: «الوقف مصدر قولك وَقَفْتُ الدَّابة. ووَقَفْتُ الكلمة وَقْفًا. أي حَبسْتُها ».[2]

وعند علماء القراءات الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة.[3]

أما عند الصرفيين فالوقف هو قطع النطق عند آخر الكلام. فما كان ساكن الآخر وقفت عليه بسكونه سواء أكان صحيحا كـــ: اُكْتُبْ ولَمْ يَكْتُبْ، وعَنْ ومَنْ، أو معتلا كـــ: يَمْشي ويَدْعو، ويَخْشَى، والفَتَى وعَلَى، ومَهْما.

---

[1]- المرجع السابق، ص553.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج15/ ص363. مادة (و ق ف).

[3]- ابتهال الزيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة، عمان الأردن، دط، 2005م، ص141.

وما كان متحركا، كـــ: يَكْتُبُ وكَتَبَ والكِتابُ، وأَيْنَ ولَيْتَ؛ وقفت عليه بحذف حركته أي بالسكون.[1]

ويدل الوقف بوسائله المتعددة على موقع هو في طابعه مفصل من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسة النطقية؛ فينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية، تُعتبر كل دفعة منها إذا كان معناها كاملا واقعة تكلمية منعزلة. أما إذا لم يكن معناها كاملا كالوقف على الشرط قبل ذكر الجواب مثلا فإن الواقعة التكلمية حينئذ تشمل على أكثر من دفعة كلامية واحدة.[2]

وللوقف وسائل متعددة غير الإسكان، فله غير الإسكان: الروم والإشمام والإبدال، والزيادة، والحذف، والنقل، والتضعيف.[3]

فالروم إضعاف صوت الحركة دون أن تختفي تماما عن الأذن.

والإشمام عدم النطق بالضمة ولكن مع الإشارة بالشفتين إليها.

والإبدال هو إبدال الألف من تنوين المنصوب وتنوين إذا، ومن نون التوكيد الخفيفة، وكذلك إبدال الهاء من تاء التأنيث التي تلحق الأسماء.

أما الزيادة فهي زيادة هاء السكت بعد الفعل المعتل المحذوف الآخر نحو أعطه وأرجه. وكذلك بعد ما الاستفهامية لحاجة الصيغة إليها.

أما الحذف فهو حذف التنوين من آخر المنون مرفوعا كان أو مجرورا، ومن آخر المقصور مطلقا. وحذف إشباع الضمير في (بِهِ) و(لَهُ) وحذف ياء المنقوص مع التنوين في الاسم المنقوص المنكر.

أما النقل فهو تحويل حركة الحرف الأخير من الكلام إلى الساكن قبله لبيان حركة الإعراب أو التخلص من التقاء الساكنين إلا إذا كان ما قبل الآخر ممنوعا تحريكه.

أما التشديد أو التضعيف فهو شبيه بقلقلة بطيئة للحرف الموقوف عليه.

---

[1]– مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط28، 1414هـ/1993م، ج2/ص126.

[2]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص270.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص271–272. ولتفصيل أكثر يراجع: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج2/ص126–134.

2- أنواع الوقف:[1]

ينقسم الوقف من حيث الدلالة إلى أربعة أنواع وهي:

أ- الوقف التام: ويكون كثيرا في رؤوس الآي، نحو الوقف على ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة1] والابتداء بـ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ [الفاتحة2].

ب- الوقف الكافي: يكثر في الفواصل وغيرها، نحو ﴿... وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة من الآية 3] فهو كلام مفهوم والذي بعده كلام مستغن عما قبله لفظا وإن اتصل في المعنى.

ج-الوقف الحسن: يكون في كل موضع يفهم فيه معنى. نحو الوقف على (بسم الله)، وعلى (الحمد لله)، وعلى (رب العالمين).

وقد يكون الوقف حسنا على تقدير، وكافيا على آخر، وتاما على غيرهما، نحو قوله تعالى﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة من الآية 2] يجوز أن يكون حسنا إذا جعل﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة من الآية 3] نعتا للمتقين. وأن يكون كافيا إذا جعل﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ رفعا؛ بمعنى هم الذين يؤمنون بالغيب، أو نصبا بتقدير: أعنى الذين... وأن يكون تاما إذا جعل﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ [البقرة من الآية 5].

د- الوقف القبيح: يقع في المواضع التي لا تتم معنى أو تؤدي إلى فساده. من ذلك الوقف على (بسم) و(الحمد) ، و(رب)، و(مالك يوم) لكونه لا يفهم منه معنى.

[1]- نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها، ص58-59. وكريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص169-170.

ومن ذلك أيضا الوقف على يستحي في﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ...﴾ [البقرة من الآية 26] ، وهذا غير جائز لفساد المعنى.

3-السكتة:

السكت أقل زمانا من الوقف من غير تنفس.[1]

والسكتة أخف من الوقفة وأدنى منها زمانا، وهي في حقيقة الأمر لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعارا بأن ما يسبقها من الكلام مرتبط أشد ارتباط بما يلحقها ومتعلق بها والقاعدة أنها تكون مصحوبة بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام الكلام وعلامتها في الكتابة الفاصلة (،).

والسكتة ليست واجبة فيمكن إعمالها ويمكن إهمالها.[2]

4- الاستراحة:[3]

تعد الاستراحة هي الأخرى من الفونيمات الثانوية في اللغة العربية، وإن كانت أقلها تأثيرا. وهي عبارة عن لجوء المتكلم إلى الاستراحة عندما يطول الكلام، حيث يلجأ إلى التقاط النفس، وليس للاستراحة قواعد ثابتة أو مواضع بعينها يمكن تحديدها؛ لأنها تتعلق فحسب بقدرة المتكلم على الاستمرار في الكلام وطول النفس مع مراعاة فهم المعنى وسلامته، وصحة التركيب نحويا.

[1]- ابتهال الزيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، ص141.

[2]- كمال بشر، علم الأصوات، ص557.

[3]- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية ، ص252.

5 _ الوقف عند ابن جني

الوقف من القضايا التي اهتم بها علماء القراءات القرآنية كثيرا، وللقراء فيه حديث طويل واختلاف شديد؛ لأنهم يستندون إليه في إثبات المعنى تارة، وللتفريق بين المعاني المختلفة تارة أخرى.

أما عند ابن جني في كتبه الخصائص وسر صناعة الإعراب والمنصف فلا نجد تفصيلا عن الوقف أو أبوابا خاصة به، إنما اكتفى ابن جني في كتبه هذه بالإشارة إلى الوقف في غير موضع، وكانت هذه الإشارات في معرض حديثه عن قضايا أخرى غير الوقف.

من ذلك ما يلي:

أ- في كتابه الخصائص:

في (باب الساكن والمتحرك)، يقول: « فإن قلت نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت، وهو مع ذلك ساكن، وهو الفاء والثاء والسين والصاد، ونحو ذلك تقول في الوقف افْ، اثْ، اسْ، اصْ، قيل: هذا القدر من الصوت إنما هو متمم للحرف وموف له في الوقف، فإذا وصلت ذهب أو كاد. وإنما لحقه في الوقف لأن الوقف يضعف الحرف»[1].

وحديثه هذا يشير إلى الروم والذي هو من وسائل الوقف غير الإسكان.

ب- في كتابه سر صناعة الإعراب:

- في إبدال الهاء من التاء: وذلك في التأنيث نحو قولك في (جَوْزَة) في الوصل. (جَوْزَه) في الوقف. و في (حَمْزَة) (حَمْزَه).[2]
- في زيادة الهاء: يقول أن أبا العباس المبرد يخرج الهاء من حروف الزيادة ويذهب إلى أنها إنما تلحق للوقف في نحو (اِخْشَه) و (ارْمِه). و تأتي بعد تمام الكلمة.[3]

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ج2/ص220.

[2]- ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـــ2/ ص215.

[3]- ابن جني في هذه القضية يعارض المبرد في إخراج الهاء من حروف الزيادة. ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـــ2/ ص215.

- في إبدال الألف عن النون الساكنة: يقول قد أبدلت الألف عن هذه النون في ثلاثة مواضع أحدها: أن تكون في الوقف بدلا من التنوين اللاحق علما للصرف، وذلك كقولك: رأيت زيدا، وكلمت جعفرا، ولقيت محمدا. فكل اسم منصرف وقفت عليه في النصب أبدلت من تنوينه ألفا[1].

ج–في كتابه المنصف:

عند حديثه عن الألف في (أنا) في الوقف، والهاء التي تلحق الوقف لبيان الحركة فيقول: « فأما الألف في (أنا) في الوقف فزائدة، وليست بأصل، ولم نقض بذلك فيها من قبل الاشتقاق، هذا محال في الأسماء المضمرة، لأنها مبنية كالحروف، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها، كما يذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف[2]».

[1] - المصدر السابق، مجـ 2 /ص 314.

[2] – ابن جني، المنصف، ص38.

الفصل الرابع

التغيرات الصوتية عند ابن جني

- توطئة
- المبحث الأول : المماثلة والمخالفة
- المبحث الثاني:القلب المكاني والتوافق الحركي
- المبحث الثالث:الإعلال والإبدال والإدغام

توطئة:

تعد التغيرات الصوتية من العناصر التي تهتم بها الصوتيات التركيبية، والتغيرات الصوتية تحدث نتيجة تجاور الحروف مع بعضها البعض تجاورا مستثقلا.

والتغيرات الصوتية أيضا هي عناصر يدخلها الناطق على صيغ ألفاظه، دفعا للثقل الذي يعتري الألفاظ نتيجة تجاور بعض الحروف، مما يؤدي إلى صعوبة النطق بهذه الألفاظ، وإجهاد أعضاء النطق لدى المتكلم. مما يحتم عليه أن يدخل بعض التغيرات الصوتية على صيغها ليصل إلى أخف صيغة أو صورة لفظية ممكنة.

ولنا في هذا الجزء من البحث وقفة مع مجموعة من الظواهر اللغوية التي تعد من قبيل التغيرات الصوتية التي تحدث في اللغة العربية ومنها: المماثلة والمخالفة، والقلب المكاني والتوافق الحركي، والإعلال والإبدال والإدغام.

وسنحاول هنا دراسة هذه الظواهر اللغوية، لمعرفة حدودها. ثم البحث عنها في دراسات ابن جني لنعرف هل تفطن إلى وجودها في النظام اللغوي العربي أم لا؟ ثم كيف تناولها بالدراسة هل من جانب صوتي أو من جانب آخر؟

المبحث الأول: المماثلة والمخالفة:

I- المماثلة:Assimilation

1- تعريفها:

لغة: جاء في لسان العرب: « مِثْلُ كلمة تسوية. يقال هذا مِثْلُهُ أو مَثَلُهُ كما يقال شِبْهُهُ أو شَبَهُهُ بمعنى.

والمماثلة لا تكون إلا في المتفقين تقول: نَحْوُهُ كنَحْوِهِ وفِقْهُهُ كفِقْهِهِ ولَوْنُهُ كلَوْنِهِ وطَعْمُهُ كطَعْمِهِ».[1]

اصطلاحا: المماثلة تعني تأثر صوت بآخر نتيجة مجاورته له، تأثرا يؤدي إلى تقارب في الصفة أو المخرج؛ تسهيلا لعملية النطق واقتصادا للجهد العضلي لتحقيق الانسجام الصوتي.[2]

ويعرفها أحمد مختار عمر بقوله:« المماثلة هي تلك التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى. أو هي تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا جزئيا أو كليا [3]».

ويتضح مما سبق أن الهدف من المماثلة الصوتية هو تعاون أعضاء النطق في خلق نوع من الانسجام الصوتي أثناء النطق، فلا يكون هناك صوت شاذ عن صوت آخر ولا حركة مناقضة لحركة أخرى. فيؤدي ذلك إلى نوع من التوازن والتوافق، فيُيسر عملية النطق ويقتصد في الجهد العضلي الذي يبذله الإنسان في النطق.[4]

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج13/ص18. مادة (م ث ل).

[2]– كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص172.

[3]– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص378.

[4]– فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1432هـ/2011م، ص68.

2- أنواع التأثر الصوتي الناتج عن المماثلة:

هناك ستة أنواع من التأثر الصوتي الناتج عن قانون المماثلة وهي كما يلي:

أ- إذا أثر الصوت الأول في الصوت الثاني، فالتأثير مقبل وتسمى المماثلة هنا: مماثلة مقبلة أو أمامية أو تقدمية.

ب- إذا أثر الصوت الثاني في الصوت الأول، فالتأثير مدبر وتسمى المماثلة حينها: مماثلة مدبرة أو رجعية.

ت- إذا حدثت مماثلة تامة بين الصوتين، فالتأثير كلي وتسمى المماثلة: مماثلة كلية.

ث- إذا حدثت مماثلة في بعض خصائص الصوت، فالتأثير جزئي وتسمى المماثلة هنا: مماثلة جزئية.

ج- إذا حدث التأثير بين صوتين متجاورين فالمماثلة هنا: مباشرة أو متصلة.

ح- إذا حدث التأثير بين صوتين منفصلين فالمماثلة هنا: غير مباشرة أو منفصلة.[1]

وباعتبار هذه التقسيمات لأنواع التأثير الصوتي تتأتى لنا الأنواع التالية من المماثلة:

3- أنواع المماثلة:[2]

أولا: المماثلة التقدمية المباشرة الكلية: ومن أمثلتها:

- تأثر تاء الافتعال غالبا بالذال والصاد والضاد فتقلب ذالا أو صادا أو ضادا.

من ذلك: اذْتَكَرَ← اذْذَكَرَ ← اذَّكَرَ

اضْتَجَعَ ← اضْضَجَعَ ← اضَّجَعَ

ثانيا: المماثلة التقدمية المباشرة الجزئية: ومن أمثلتها:

- تحول الفتحة التي في الأصل غير مفخمة إلى صوت مفخم لكونها مسبوقة بصوت مفخم في مثل : صَارَ ← طَارَ

---

[1]- ينظر: زين كامل الخويسكي ونجلاء محمد عمران، مختارات صوتية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، دط، 2007م، ص178-183.

[2]- ينظر: سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص93-97.

ثالثا: المماثلة التقدمية غير المباشرة الكلية ومن أمثلتها:

- تفخيم الدال في (صَدَّ) حتى يظهر في النطق وكأنه ضاد بتأثير الصاد المفخم بالإطباق. مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.

رابعا: المماثلة التقدمية غير المباشرة الجزئية ومن أمثلتها:

- تفخيم الخاء في (صَخْر) بسبب الصاد المفخم بالإطباق مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.

خامسا: المماثلة الرجعية المباشرة الكلية ومن أمثلتها:

- انقلاب السين إلى صاد في (بَسْطَة) لمماثلة الطاء المفخمة بالإطباق.

سادسا: المماثلة الرجعية الجزئية ومن أمثلتها:

- تفخيم فتحة الفاء في (فَقْر) لكونها متبوعة بالقاف المفخم.

سابعا: المماثلة الرجعية غير المباشرة الكلية ومن أمثلتها:

- نطق السين غير المطبق صادا في (بِساطٌ) لتأثره بالطاء مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة الطويلة.

ثامنا: المماثلة الرجعية غير المباشرة الجزئية ومن أمثلتها:

- تفخيم الخاء في (خَطَر) لكونه متبوعا بالطاء المفخم بالإطباق مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.

4- المماثلة عند ابن جني:

ذكر بعض العلماء المحدثين[1] أن العلماء القدماء قد تفطنوا لهذا النوع من التأثر الصوتي الذي يحدث بين الفونيمات.

[1]– فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي، ص69. وتحسين إبراهيم البطوش، الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة ابن محيصن، دار الحامد، عمان الأردن، ط1، 2011م، ص18.

ومن هؤلاء القدماء: ابن جني، والذي عالج ظاهرة المماثلة في كتابه الخصائص تحت باب(الإدغام الأصغر). وهو عنده « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك».[1]

ولنا أن نشير إلى بعض الأمثلة التي أوردها ابن جني عن المماثلة أو كما أطلق عليها هو الإدغام الأصغر.

لقد وجد ابن جني للإدغام الأصغر ضروبا ومنها:

أ- الإمالة: ويقول عنها: «إنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالِم، ألا تراك قربت فتحة العين إلى كسرة اللام بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء ».[2]

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن بعض المحدثين يسمي هذا النوع من المماثلة (التوافق الحركي).[3]

ب- ومنها: «إذا وقعت فاء افتعل صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء فتقلب لها ثاؤه طاء. وذلك نحو: اصْطَبَرَ، واضْطَرَبَ، واطَّرَدَ، واضْطَلَمَ. فهذا تقريب من غير إدغام فأما (اطَّرَدَ) فمن ذا الباب أيضا، ولكن إدغامه ورد هاهنا التقاطا لا قصدا».[4]

ت- ومنها: «إذا وقعت فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا فتقلب تاؤه لها دالا كقولهم: ازْدانَ، وادَّكَرَ».[5]

ث- ومنها: «إذا وقعت السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا وذلك كقولهم في سَقَتْ: صَقَتْ. وفي السوق: الصوق».

---

[1]– ابن جني، الخصائص، ج2/ ص93.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص179.

[4]– ابن جني، الخصائص، ج2/ ص93. وينظر: ابن جني، المنصف، ص 543.

[5]– ابن جني، الخصائص، ج2/ص93، وينظر: ابن جني، المنصف، ص545–546.

ج- ومن ذلك أيضا: « تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم في نحو: مَصْدَر: مَزْدَر، وفي التَّصْدير: التَّزْدير».[1]

ومن الملاحظ أن الأمثلة التي أوردها ابن جني كلها تنطوي تحت لواء المماثلة الرجعية بحيث يؤثر الحرف اللاحق في الحرف السابق.

وخلاصة القول نشير إلى أن ابن جني قد تفطن لظاهرة المماثلة التي تحدث بين الأصوات. وإن لم يسمها بهذا الاسم. وأطلق عليها اسم الإدغام الأصغر. إلا أنه كان يعلم بأنها ليست مثل الإدغام. إنما فيها ما يشبه الإدغام. وهو تقريب الصوت من الصوت مثلما يحدث في الإدغام المألوف.

II –المخالفة: Dissimilation

1- تعريفها:

لغة: جاء في لسان العرب: « الخالِفُ هو الكثير الخِلاف. والخِلافُ هو المضادة. وقد خالَفَهُ مُخالَفَةً وخِلافًا. وفي المثل: إنما أنت خِلافُ الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع؛ لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه».[2]

اصطلاحا: المخالفة عكس المماثلة. وهي تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين.

وترجع أهميتها في أنها تظهر الخلافات التي لا غنى عنها، وتبرز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية. ويعرفها كريم زكي حسام الدين بقوله:« المخالفة تعني اختلاف بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التضعيف. وذلك بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى أحد

[1]– ابن جني، الخصائص، ج2/ ص94.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ج14/ ص 182. مادة (خ ل ف).

أصوات المد الألف أو الواو أو الياء، أو أحد الأصوات المتوسطة أو المائعة، وهي اللام والراء والنون والميم[1]».

ومن الملاحظ أن قانون المخالفة يسعى إلى تسهيل عملية النطق والاقتصاد في الجهد لأن المتكلم عند نطقه بالصوت المضعف يبدل جهدا عضليا أكبر مما لو قلب أحد الصوتين إلى صوت مد أو صوت من الأصوات المائعة.

2- أنواع المخالفة:

قسم العلماء المحدثون المخالفة إلى:[2]

أ – المخالفة المقبلة: وهي أن يؤثر صوت في صوت لاحق فيجعله مختلفا عنه ومن أمثلتها: إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفا، والهدف من ذلك تجنب النطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع. وهذا يفسر لماذا نُصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة. ولماذا كُسرت نون المثنى على عكس نون المذكر السالم التي فُتحت.

ب – المخالفة المدبرة: وهي أن يؤثر صوت في صوت سابق فيجعله مختلفا عنه.

ومثال ذلك: جَمَّدَ ← جَلْمَدَ، أثرت الميم الثانية في الميم الأولى وحولتها إلى لام.

ج – المخالفة المتصلة: وتحدث بين الصوتين اللذين ليس بينهما فاصـــل. ومـــن أمثلتها:

قِرَّاط ← قيراط، اجتمع حرفان متماثلان لذلك قلب الحرف الأول منها إلى ياء.

د – المخالفة المنفصلة: وتحدث هذه المخالفة بين الصوتين اللذين بينهما فاصل مثل:

---

[1]– كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص176.

[2]– ينظر: فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي، ص78–81.

اخضوضر التي أصلها اخْضَرْضَرَ، أبدلت الراء الأولى واوا لمخالفة الراء الثانية رغم وجود الضاد فاصلا بينهما.

3- المخالفة عند ابن جني:

إن ملاحظة المتكلم العربي الأول ما يسببه تضعيف الصوت من جهد زائد في النطق جعلته يبدل هذا الصوت المضعف بأحد أصوات المد. وذلك تيسيرا لعملية النطق.

ومن الملاحظ أن علماء العربية القدماء قد تفطنوا لهذه الظاهرة – المخالفة – وأشاروا إليها في مؤلفاتهم، وإن تعددت تسمياتهم لها، فمنهما: كراهية التضعيف، أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد، أو توالي الأمثال مكروه، أو استثقلوا اجتماع المثلين وغير ذلك.[1]

وابن جني كان من بين هؤلاء العلماء الذين تفطنوا لهذه الظاهرة، وقد أشار إليها في باب (قلب اللفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف).

ومما جاء في هذا الباب قوله: « قول العرب (تَسَرَّيْتُ) من لفظ (س ر ر) وقد أحالته الصنعة إلى لفظ (س ر ي) . ومثله (قَصَّيْتُ أظافري) هو من لفظ (ق ص ص) وقد آل بالصنعة إلى لفظ (ق ص ي)...وكذلك قوله (تَقَضِّي البازي إذا البازي كسر)، وهو في الأصل من تركيب (ق ض ض) ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (ق ض ي)... وكذلك قولهم (تَلَعَّيْتُ) من اللعاعة وأصلها (ل ع ع) ثم صارت بالصنعة إلى لفظ (ل ع ي)...[2] ».

ويلاحظ هنا أن ابن جني قد اكتفى بذكر أمثلة دون أن يقدم أي تعليل لقلب لفظ إلى لفظ آخر سوى الصنعة والتلطف؛ وهي بحث الناطق العربي عن لفظ أكثر صنعة وانسجام بين أصواته، وميله إليه.

---

[1]– المرجع السابق، ص77.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج 2/ ص 58 – 60.

المبحث الثاني: القلب المكاني والتوافق الحركي:

I- القلب المكاني:

1- تعريفه:

لغة: جاء في لسان العرب: « القَلْبُ تحويل الشيء عن وجهه. وقَلَبَ الشيء حوَّله ظهرا لبطن».[1]

اصطلاحا: هو تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسلة الكلامية.[2]

ومعنى ذلك أن القلب المكاني يحدث فيه تغيير الوضع الأصلي لبعض صوامت الكلمة الواحدة، فيتقدم أو يتأخر صامت على غيره من صوامت الكلمة من ذلك: (أَيْنَق وأَنْيَق) جمع ناقة، (جاه ووَجْه)، (أَيِسَ ويَئِسَ)، (مُكَبَّل ومُكَلَّب).

ويعمل قانون القلب المكاني على ثلاثة محاور وهي[3]:

أ- ميل المتكلم إلى السهولة والتيسير وذلك بتقديم حروف الذلاقة العربية على غيرها.

ب- الهروب من المماثلة.

ت- نواتج المشكلات المتعلقة بالكلمات المعتلة والمهموزة.

إن القلب المكاني منهج يستعمله اللغويون العرب في تحليل بعض الألفاظ التي خرجت عن المنهج الأساسي المتمثل في الميزان الصرفي.[4] وذلك مثل كلمة أشياء جمع شيء التي أصلها شَيْئاء بوزن فَعْلاء. وبالقلب المكاني أصبحت أشياء.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج11/ص 243. مادة (ق ل ب).

[2]– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص335.

[3]– رمضان منيسي عبد الله، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار النشر للجامعات، القاهرة مصر، ط1، 2006م، ص48.

[4]– محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة مصر، ط1، 1427هـ/2006م، ص185.

2- <u>أنواع القلب المكاني:</u>

أورد بعض الباحثين المحدثين أربعة أنواع للقلب المكاني حسب الصامت المتقدم في الكلمة وهي كما يلي:[1]

أولا: تقديم العين على الفاء:

عند تقديم العين على الفاء تصبح الكلمة على وزن (عفل)، ومن أمثلته:

- أَيِسَ أصلها يَئِسَ على وزن (فَعِلَ) قدمت الهمزة على الياء فصارت أَيِسَ، على وزن (عَفِلَ).

ثانيا: تقديم اللام على الفاء:

عند تقديم اللام على الفاء تصبح الكلمة على وزن (لفع) وهذا النوع نادر، ومثاله: كلمة أشياء جمع شيء والأصل شيئاء. وأَفْياء جمع فيء والأصل فَيْئاء.

ثالثا: تقديم اللام على العين:

عند تقديم اللام على العين تصبح الكلمة على وزن (فلع) ومن أمثلتها: ناءَ، أصلها نَأَيَ على وزن (فَعَلَ)، تقدمت الياء على الهمزة ثم قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فأصبحت ناءَ على وزن (فلع).

رابعا: تقديم العين واللام على الفاء:

عند تقديم العين واللام على الفاء تصبح الكلمة على وزن (علف)، ومثالها كلمة الحادي فإن أصلها الواحِد على وزن (فاعِل)، تأخرت فاء الكلمة (الواو) إلى موضع اللام (الدال) فصارت (احِدُو) على وزن (اعلف)، ثم قدمت الحاء على الألف فصارت (حِادُو)، ثم قلبت الكسرة التي تلي الحاء فتحة لمناسبة الألف فأصبحت (حَادُو) على وزن (عالف)، ثم قلبت الواو ياء لتطرفها فأصبحت (حَادُي)، ثم قلبت الضمة التي تلي الدال كسرة لمناسبة الياء فأصبحت (حَادِي).

[1]- ينظر: فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي، ص 243-248.

3- القلب المكاني عند ابن جني:

عالج ابن جني ظاهرة القلب المكاني في كتابه الخصائص، تحت باب (في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير).

ويرى ابن جني أنه إن وجد لفظان فيهما تقديم وتأخير، فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصل وأيهما الفرع.[1]

وطريقه إلى معرفة اللفظين أصلين أم أحدهما مقلوب عن الآخر هو البحث عن تصريفاتهما فإن كانا يتصرفان تصرفا واحدا كانا أصلين وإن قصَّر أحدهما عن تصرف الآخر. كان أوسعها تصرفا أصلا والآخر مقلوبا عنه.

وقد أعطى ابن جني أمثلة عديدة يوضح فيها ذلك، ومنها:

- « مما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جَذَبَ وجَبَذَ. ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا نحو جَذَبَ يَجْذُبُ جَذْبًا فهو جاذِبٌ، والمفعول مَجْذوبٌ. وجَبَذَ يَجْبُذُ جَبْذًا فهو جابِذٌ والمفعول مَجْبوذٌ».
- ويضيف قائلا: « فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك، لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما بأسعد بهذه الحال من الآخر».[2]
- ومما كان أحدهما مقلوبا عن الآخر قوله: « وذلك كقولهم: أنى الشيء يَأْنَي وآن يَئِينُ. فآن مقلوب عن أنى. والدليل على ذلك وجودك مصدر أنى يأنى وهو الإِنْيُ. ولا تجد لآن مصدرا».[3]
- ومن المقلوب قولهم: « اِمْضَحَلَّ وهو مقلوب عن اِضْمَحَلَّ. ألا ترى أن المصدر إنما هو على اِضْمَحَلَّ وهو الاِضْمِحْلال. ولا يقولون اِمْضِحْلال».[4]

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ج2/ص 47.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها، وينظر: ابن جني، المنصف، ص366.

[3]- ابن جني، الخصائص، ج2/ ص47.

[4]- المصدر نفسه، ج2/ ص49.

- أما في (جاه ووَجْه) فقد ذهب إلى أن الفراء يرى أن جاه مقلوب من الوَجْه. وكذلك أبو علي يرى ذلك. وقال: ولما أعلوه بالقلب أعلوه أيضا بتحريك عينه ونقله من فَعْلٍ إلى فَعَلٍ، يريد أنه صار من وَجْهٍ إلى جَوْهٍ ثم حركت عينه فصار إلى جَوَهٍ ثم أبدلت عينه لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار جاه.[1]
- ومن المقلوب أيضا الطادي من الواطِد وهو الفاعل من وَطَدَ يَطِدُ؛ أي ثَبَتَ. فقلب عن (فاعل) إلى (عالف).[2]

هذه بعض الأمثلة من الأمثلة الكثيرة التي أوردها ابن جني عن ظاهرة القلب المكاني.

وخلاصة القول: ابن جني وإن كان قد تطرق لظاهرة القلب المكاني إلا أننا نلاحظ أولا أنه لم يطلق عليها اسم القلب المكاني، بل كان ينعتها بالقلب مطلقا وهذا المصطلح قد يختلط مع مصطلح القلب المراد منه الإعلال أو الإبدال. وثانيا نلاحظ أن ابن جني قد اعتمد في تفسير أمثلته والبحث عن أسباب القلب المكاني الذي وقع فيها على الجانب الصرفي للكلمة وأغفل الجانب الصوتي، الذي له الحظ الوفير في تفسير ظاهرة القلب المكاني.

II – التوافق الحركي:

1- تعريفه:

يعرِّف كريم زكي حسام الدين التوافق الحركي بقوله: « هو تأثير الحركة الأساسية في الكلمة أو المقطع على الحركة التالية أو السابقة بالمماثلة[3]».

والتوافق الحركي يحدث في الكلمة لتحقيق الانسجام الصوتي من جهة وللاقتصاد في الجهد المبذول من جهة أخرى.

---

[1]– المصدر السابق ، ج2/ص 51.

[2]– المصدر نفسه، ج2/ ص52.

[3]– كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية، ص179.

وقد أطلق عليه إبراهيم أنيس مصطلح (انسجام أصوات اللين) وهو يقول فيه: « هي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمة، فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية». [1]

فالهدف إذن من التوافق الحركي أن تكون الحركات المتوالية منسجمة ومتآلفة مع بعضها البعض. وهذا ما ذهبت إليه فدوى محمد حسان بقولها: « المقصود بالتوافق الحركي هو انسجام الصوائت وتآلفها في الصيغة الصرفية، فإذا وجد في كلمة ما تنافر في صوائتها فذلك يستدعي تأثير أحدهما على الآخر ليتحول إلى صوت يماثله، حتى يتم الانسجام والتآلف بينهما، وهذا التوافق في الكلمة العربية يسير وفق نغم موسيقي لا يعرف النشاز أو الانحراف[2]».

2- التوافق الحركي عند ابن جني:

أشار ابن جني إلى ظاهرة التوافق الحركي في مواضع متفرقة من كتبه سنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

– في كتابه الخصائص أشار ابن جني إلى ظاهرة التوافق الحركي في باب (الإدغام الأصغر)، فقال: « تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شَعير، وبَعير، ورَغيف، وزَئير الأسد ». « ومن ذلك أيضا قولهم: فَعَلَ يَفْعَلُ مما عينه أو لامه حرف حلقي نحو سَأَلَ يَسْأَلُ وقَرَأَ يَقْرَأُ وسَعَرَ يَسْعَرُ، وقَرَعَ يَقْرَعُ، وسَحَلَ يَسْحَلُ وسَبَحَ يَسْبَحُ. وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة».[3]

---

[1]– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت، ص 86.

[2]– فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي، ص 251.

[3]– ابن جني، الخصائص، ج2/ص94.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أننا قد ذكرنا باب الإدغام الأصغر في التمثيل للمماثلة عند ابن جني. وها نحن نذكره هنا للتمثيل عن التوافق الحركي. و ما كان هذا إلا لأن التوافق الحركي ضرب من المماثلة. وهو مماثلة تقع بين الصوائت دون الصوامت في حين أن المماثلة تقع بين الصوامت والصوائت معا.

- وفي كتابه المنصف: في حديثه عن الأفعال المبدوءة بهمزة وصل، وكيف تكون هذه الهمزة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، فيقول: « إذا كان الحرف الذي بعد الساكن مفتوحا أو مكسورا فالهمزة مكسورة نحو (اِنْطَلَقَ)، ألا ترى أن الطاء مفتوحة، وكذلك (اِضْرِبْ). ألا ترى أن الراء مكسورة. وكذلك (اِذْهَبْ واِرْكَبْ) وأشبه ذلك... فإذا كان الحرف الذي بعد الساكن مضموما ضمت همزة الوصل كراهية الخروج من الكسر إلى الضم اللازم، وليس بينهما حاجز إلا حرفا ساكنا والساكن ضعيف، فكأن لا حاجز بينهما وذلك قولهم اُقْتُلْ، اُسْتُخْرِجَ، اُنْطُلِقَ به[1]» .

يتضح من كلام ابن جني هذا أن العرب كانوا حريصين على توافق الصوائت في الكلمة الواحدة. وأنهم قد أدركوا أن الكسرة التي تلي همزة الوصل لا تتوافق مع الضمة التي تلي الصامت الثالث لذلك قلبوا الكسرة ضمة لتتوافق مع الضمة.

[1]- ابن جني، المنصف، ص78-79.

المبحث الثالث: الإعلال والإبدال والإدغام:

ا- الإعلال:

1- تعريفه:

لغة: جاء في لسان العرب:« يقال اِعْتَلَّ العليل عِلَّةً صعبة، والعلة المرض. عَلَّ يَعِلُّ واِعْتَلَّ أي مرض فهو عليل.

والعلَّة الحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه من شغله الأول. وحروف العلَّة والاعتلال: الألف والياء والواو، سميت بذلك للينها وموتها».[1]

اصطلاحا: يعرف الشريف الجرجاني الإعلال بقوله: « هو تغيير حروف العلة للتخفيف، فقولنا تغيير شامل له تخفيف الهمزة والإبدال، فلما قلنا حروف العلة خرج تخفيف الهمزة وبعض الإبدال مما ليس بحرف علة كأصيلال في أصيلان لقرب المخرج بينهما. ولما قلنا للتخفيف خرج نحو عألم في عالم؛ فبين تخفيف الهمزة والإعلال مباينة كلية لأنه تغيير حرف العلة. وبين الإبدال والإعلال عموم وخصوص من وجه إذا وجد في نحو قالَ، ووجد الإعلال بدون الإبدال في نحو يَقولُ، والإبدال بدون الإعلال في أصيلان [2]» .

نلاحظ هنا أن الجرجاني قد أخرج الهمزة من حروف الإعلال وهذا لكونها حرفا مُختلَفا فيه. أهو صحيح أو هو حرف علة.

نجد باحثا آخرا يعرِّف الإعلال على أنه: « تغيير حرف العلة بقلب أو حذف أو إسكان وحروف العلة الواو والياء والألف. وقد اُختُلِف في الهمزة قيل هو حرف صحيح وقيل حرف علة. ويخلص إلى أن تغييرها يسمى قلبا ولو لم نجعلها حرف علة، فالقلب إذن تغيير لحروف العلة والهمزة».[3]

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج2/ ص359–360. مادة (ع ل ل).

[2]–الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، دت، ص14.

[3]– عمر بوحفص الزموري، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، دط، دت، ص245.

وأوجز تعريف للإعلال نصه:« هو قلب حرف العلة أو تسكينه أو حذفه » .[1]

من كل ما تقدم يتضح أن الإعلال سببه الاستثقال أو طلب التخفيف والمعروف على حروف العلة أنها ليست ثقيلة في نطقها، ولكن اجتماعها في صيغة صرفية واحدة هو الذي يسبب هذا الثقل، والإعلال هو الطريق للتخلص من هذا الثقل.

تقول فدوى محمد حسان في هذا الصدد: « أسباب قلب أصوات العلة بعضها من بعض (أي الإعلال) هي:[2]

- طلب الخفة، فإذا وجد في صيغة صرفية صوت علة مستثقل يمكن أن يبدل صوتا آخرا، لأن الخفة مطلب رئيسي في اللغة العربية.
- الكثرة، فما كثر أحق بالتخفيف، ولأصوات العلة كثرة لم تكن لغيرها، إذ لا تخلو كلمة من أصوات العلة أو من بعضها.
- المناسبة، فإذا اجتمع في الكلمة صوت علة مع صائت لا يناسبه فإنه سرعان ما ينقلب إلى آخر ليتناسب مع الصوائت التي تجاوره ».

2- أقسام الإعلال:

من تعريفات الإعلال يتضح أن له ثلاثة أقسام وهي:[3]

أ- الإعلال بالقلب: وهو قلب أحد أحرف العلة أو الهمزة حرفا آخرا من هذه الأحرف مثل دُعاء (أصلها دُعاو) فقلبت الواو همزة، ورَضِيَ (أصلها رَضَوَ) فقلبت الواو ياء، ومائِل (أصلها مايِل) فقلِبت الياء همزة، وصامَ (أصلها صَوَمَ) فقلبت الواو ألفا.

ب- الإعلال بالتسكين: ويسمى أيضا (الإعلال بالنقل)، ويكون بتسكين حرف العلة بعد نقل حركته إلى الساكن الصحيح قبله مثل: يَقومُ (أصلها يَقْوُمُ).

---

[1]– جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دار ريحاني، بيروت لبنان، ط4، دت، ص63.

[2]– فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي، ص120.

[3]– عبد العليم إبراهيم، تيسير الإعلال والإبدال، دار غريب، القاهرة مصر، دط، دت، ص6.

ت- الإعلال بالحذف: ويكون بحذف حرف العلة للتخفيف أو للتخلص من التقاء الساكنين مثل: يَعِدُ مضارع وَعدَ (أصله يَوْعِدُ) فحذفت الفاء تخفيفا.

3- الإعلال عند ابن جني:

الإعلال من الظواهر اللغوية القديمة في اللغة العربية ، وهو من مظاهر اللغة التي تعتني بها الدراسة الصوتية.

وقد تناول ابن جني هذه الظاهرة وله فيها تعليلات صوتية سنكتفي بذكر بعضها؛ لنبين أن الإعلال من التغيرات الصوتية التي تفطن إليها ابن جني، وقدم عليها تعليلات صوتية تبيِّن مدى وعيه بدور ووظيفة الأصوات اللغوية وكيفية تآلفها مع بعضها البعض في المنطوق الواحد.

إذن عملنا في هذا الجزء من البحث ليس دراسة كل ما قاله ابن جني عن الإعلال ، بل عملنا هو البحث عن ما يدل على إدراك ابن جني أن الإعلال إلى جانب كونه تغير في الصيغة الصرفية هو من التغيرات الصوتية أيضا.

ومما قاله ابن جني في الإعلال ما يلي:

*** الإعلال بالقلب:**

- في قلب الواو أو الياء همزة:

يقول في ذلك: « وقالوا أيضا: قَضاء وسَقاء وشِفاء وكِساء وشَقاء وعَلاء ، وكذلك كل ما وقعت لامه ياء أو واوا طرفا بعد ألف زائدة. وأصل هذا كله قَضاي وسَقاي وشِفاي وكِساو وشَقاو وعَلاو ؛ لأنها من قَضَيْتُ وسَقَيْتُ وشَفَيْتُ وكَسَوْتُ والشِّقْوَة وعَلَوْتُ فلما وقعت الياء والواو طرفين، بعد ألف زائدة، ضعفتا لتطرفهما، ووقوعهما بعد الألف الزائدة».[1]

[1]- ابن جني ، سر صناعة الإعراب، مجـــ1/ ص 106 – 107.

ويرى ابن جني أن الواو أو الياء، لم تقلب همزة ابتداء وإنما قُلبت أولا ألفا ثم همزة وذلك أن وقوعها في الطرف يضعفها ، ولم يذكر لِمَ كان وقوعها طرفا يسبب ضعفها ولعله يريد بالضعف في الطرف أن الطرف مظنة الإعراب الذي لا يقرُّ معه الحرف على حال فقد يسكن وقد يتحرك، وقد تكون الحركة ضمة أو فتحة أو كسرة ، فكأن تعرض الطرف لتغيرات جعله يصف الحرف المعتل المتطرف بالضعف.[1]

- في قلب الياء واوا:

يقول في ذلك : « قلب الياء في موسِر ، وموقِن، لسكونها وانضمام ما قبلها، ولا توقُّف في ثقل الياء الساكنة بعد الضمة؛ لأن حالها في ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة وهذا- كما تراه – أمر يدعو الحس إليه، ويحدو طلب الاستخفاف عليه»[2].

ونلاحظ هنا أن ابن جني قد علل القلب في مثل هذا الموضع بالميل إلى الانسجام الصوتي والبعد عن التناقض والثقل؛ لأنك عندما تأتي بالضمة يكون المُتوقَع بعدها واوا، وعندما تأتي بالكسرة يكون المتوقع بعدها ياء.

- في قلب الواو ياء:

من ذلك قولهم سَوْطٌ سِياط، وثَوْبٌ ثِياب، ورَوْضَةٌ رِياض.

ويقول ابن جني في ذلك: « اعلم أن القلب إنما وجب في سِياط ونحوه لأشياء تجمعت لا لشيء واحد. منها: سكون الواو في الواحد، والحرف الساكن ضعيف يقبل العلة، ومنها انكسار السين في سِياط، ومنها وقوع الألف بعد الواو، والألف قريبة الشبه من الياء، ومنها أن الكلمة جمع، والجمع أثقل من الواحد. فلما تجمعت هذه الأشياء المستثقلة كلها هربوا من الواو إلى الياء».[3]

---

[1]– حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، العراق، دط،1980م، ص 373.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج 1/ ص 58.

[3]– ابن جني، المنصف، ص 283.

إذن لولا اجتماع هذه الأشياء المستثقلة لما كان القلب، ودليل ابن جني على ذلك في جمع طَويل طِوال .حيث أَقَرَّت الواو في الجمع لتحركها في المفرد.

وواضح أن المجانسة بين الياء والكسرة مع شعور العرب بأن صوت الياء أخف عليهم من صوت الواو هو الذي جعلهم يبدلون هذا ونحوه.[1]

- في قلب الهمزة ياء:

ومن ذلك يقول: « وقد أبدلوا الهمزة ياء لغير علة إلا طلبا للتخفيف وذلك قولهم في قَرَأْتُ قَرَيْتُ ، وفي بَدَأْتُ بَدَيْتُ ، وفي تَوَضَّأْتُ تَوَضَّيْتُ» [2].

نلاحظ هنا أن ابن جني يرى أن سبب الإعلال لا يعدو كونه بحثا عن التخفيف. وهو تعليل صوتي سطحي لا يغوص إلى البنية العميقة للكلمة؛ أي لأصواتها وتأثير هذه الأصوات في بعضها البعض.

*** الإعلال بالتسكين:**

من ذلك الإعلال في مثل يَقولُ ويَبيعُ وأصلهما يَقْوُلُ ويَبْيِعُ.

وقد نص ابن جني على أنهم نقلوا الضمة والكسرة من الواو والياء إلى ما قبلهما وأسكنوهما، وعلة النقل عنده حمل المضارع على الماضي في الإعلال ويقول في ذلك: «فلما جاء المضارع أعلوه إتباعا للماضي لئلا يكون أحدهما صحيحا والآخر معتلا، فنقلوا الضمة من الواو والكسرة من الياء إلى ما قبلها فصارا يَقولُ و يَبيعُ» .[3]

وعلة الإعلال هنا عند ابن جني لا تخرج عن حمل المضارع على الماضي، حتى أننا نراه يفند رأي من يقول أن علة الإعلال هنا هي ثقل الحركة على الواو أو الياء، فيقول في ذلك: « فأما مَن ذهب إلى أن يَقولُ ويَبيعُ ونحوهما إنما استثقلت الحركة فيهما في

---

[1]– حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص370.

[2]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـــ2/ ص369.

[3]– ابن جني، المنصف، ص223.

الواو والياء فنقلت إلى ما قبلهما فسكنتا ، فغير معبوء بقوله؛ لأن الواو والياء إذا سكن ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح، فلمْ تستثقل فيهما الحركة».[1]

***الإعلال بالحذف:**

ذكر ابن جني عدة مواطن كان فيها الإعلال بالحذف من ذلك:

«قولهم مَيْتٌ وهَيْنٌ ولَيْنٌ والأصل مَيِّتٌ وهَيِّنٌ ولَيِّنٌ. وقد ذهب ابن جني إلى أن مَيِّتٌ على وزن فَيْعِلٌ مكسور العين، كأنه كان مَيْوِتٌ ثم قلبت الواو ياء لسكون الياء قبلها فأعلوا العين بعدها، ثم إنهم لما أعلُّوا العين بالقلب أعلُّوها أيضا بالحذف لضرب من الاستخفاف».[2]

وقد علل ابن جني الحذف هنا بطلب الاستخفاف ودفع الثقل، كون العربي يسعى دوما إلى النطق بالأخف على لسانه والابتعاد عن كل ما يثقل عليه، ويزيد من كلفته في النطق.

II – الإبدال:

1- تعريفه وأنواعه:

لغة: جاء في اللسان: « الأصل في الإبدال هو جعل الشيء مكان شيء آخر، يقال أَبْدَلْت الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه [3]».

اصطلاحا: عرَّف العلماء الإبدال تعريفات عديدة بحسب نوعه:

أ- الإبدال الصرفي:

- « وهو أن يُجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل [4] » .
- « وهو جعل حرف مكان حرف آخر سواء أكان الحرفان صحيحين مثل اِصْطَبَرَ واِصْتَبَرَ، أو معتلين مثل: قال وباع أصلها: قَوَلَ وبَيَعَ، أو مختلفين مثل: دينار وقيراط أصلها: دِنَّار وقِرَّاط[5]» .

---

[1]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2]– المصدر نفسه، ص299.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ج1/ ص327. مادة (ب د ل).

[4]– الشريف الجرجاني، التعريفات، ص2.

[5]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة، دار ابن خزيمة، ط1، 1426هـ/2005م، ص237.

- « وهو إزالة حرف ووضع حرف آخر مكانه، وهو يشبه الإعلال من حيث أن كلا منهما تغيير في الموضع، إلا أن الإعلال خاص بأحرف العلة، وأما الإبدال فيكون في الحروف الصحيحة وأحرف العلة[1]».

نستنتج من هذه التعريفات ما يلي:

- الإبدال يقع في الأصوات الصحيحة والأصوات المعتلة.
- الإبدال يكون لدفع الثقل والحصول على بنية صرفية أسهل وأخف في الاستعمال.
- هذا النوع من الإبدال- الإبدال الصرفي- ضروري حتى تستقيم البنية الصرفية للكلمة.
- كل إعلال بالقلب إبدال وليس كل إبدال إعلال بالقلب.

ب-الإبدال اللغوي: يُعرَّف الإبدال في اصطلاح فقه اللغة بتعريفات كثيرة أشهرها تعريفان هما:

- تعريف المتوسعين في الإبدال: وهو وضع حرف مكان حرف في الكلمة مع الاتفاق بين الكلمتين في المعنى أو تقاربهما.
- تعريف غير المتوسعين في الإبدال: « هو إبدال حرف مكان حرف آخر مع تقاربهما في المخرج واتحاد الكلمتين في المعنى والمكان. وألاَّ يتصرف أحدهما تصرفا كاملا ».[2]

من هذين التعريفين نلاحظ أن غير المتوسعين في الإبدال قد وضعوا شروطا للإبدال وهي:

- أن يكون الحرفان المبدلان متقاربين في المخرج.
- أن يكون هناك إتحاد في الكلمتين في المعنى.

---

[1]- جرجي عطية، سلم اللسان، ص76.

[2]- محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة، ص237-238.

- أن تكون الكلمتان من بيئة واحدة أي في قبيلة واحدة.
- أن لا تتصرف إحدى الكلمتين تصرفا كاملا.

وبعد الحديث عن الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي، لنا أن نورد الفرق بين الإبدالين والذي قد حصره أحد الباحثين في النقاط التالية:[1]

- الإبدال الصرفي له قواعد ثابتة كما أنه مطرد منقاس، مثل إبدال الواو أو الياء همزة في نحو: قائِل وبائِع. أما الإبدال اللغوي فهو سماعي لا ينقاس ولا يطرد.
- الإبدال الصرفي ضروري في الاستعمال فالإبدال واجب في نحو: قاوِلٌ فلابد أن يقال قائِلٌ أما الإبدال اللغوي فليس ضروريا، وإنما هو للتوسع، أو ميل إلى اليسر والسهولة.
- الإبدال الصرفي لا يجوز فيه استعمال الصيغة الأصلية مثل: قاوِل، وإنما يقال قائِل. فالصيغة الأولى لا تُستعمل، لأنه لا وجود لها في اللغة، وإنما يؤتى بها للتوضيح والتعليم. أما الإبدال اللغوي فالصيغتان تستعملان كأن ينطق العرب بالذال أو الثاء في جَذا وجَثا.
- الإبدال الصرفي يقع في حروف محدودة، أما اللغوي فليس له حروف محصورة، لأنه سماعي واللغة كلها مجال له.

وخلاصة القول، الإبدال ظاهرة لغوية قديمة. لاحظها العلماء العرب القدماء وألفوا فيها مؤلفات منها: الإبدال لابن السكيت[2]، والإبدال لأبي الطيب اللغوي[3] والذي يقول: « ليس

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص240–241.

[2]– هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، نشأ في بغداد، واشتهر بجمع قصائد الشعراء في دواوين وشرح بعضها، توفي سنة(244هـ). يراجع: رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، ج3/ص134.

[3] -هو عبد الواحد بن علي، له تصانيف جليلة منها: مراتب النحويين، والإبدال، وشجر الدُّر، وقد ضاع أكثر مؤلفاته، مات بعد الخمسين والثلاثمائة للهجرة. يراجع: السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ص120.

المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد» [1].
ونستنتج من هذا القول أن العرب لم تتعمد الإبدال في كلامها إلا أنه ورد فيه لدفع الثقل، والبحث عن السهولة واليسر في نطق الكلمات.

2- الإبدال عند ابن جني:

الإبدال من الظواهر اللغوية التي اعتنت بها الدراسة الصوتية أيضا، لتعليلها والبحث في أسبابها.

وقد تناول ابن جني ظاهرة الإبدال في مواضع عديدة من كتبه، ويعد كتابه سر صناعة الإعراب – في نظرنا – من المؤلفات الضخمة التي حوت بين دفتيها دراسات مستفيضة حول ظاهرة الإبدال. حيث أن ابن جني كان يقف عند كل حرف ويبحث عن أحواله في كلام العرب، ومن بين الأحوال التي كان يبحث عنها كون الحرف بدلا أو أصلا، وإذا كان بدلا فمما يُبدل.

وبذلك يمكن القول أن ابن جني قد استوفى معظم حالات الإبدال الشائعة في اللغة العربية، ولا نستطيع أن نقول كلها لأن اللغة العربية أوسع من أن يضمها كتاب بين دفتيه لكثرة لهجاتها وتشعبها.

وسنكتفي هنا بذكر بعض حالات الإبدال الكثيرة التي ذكرها ابن جني ونرى كيف علَّل لها.

- إبدال تاء اِفْتَعَلَ:

يقول ابن جني :«إن تاء افتعل إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء تقلب

[1]– نقلا عن: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحـــ: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة مصر، ط3، دت، ج1/ص460.

طاء البتة ولابد من ذلك، وذلك قولك: من الصَّبْرِ اِصْطَبَرَ، ومن الضَّرْبِ اِضْطَرَبَ، ومن الظُّهْرِ اِظْطَهَرَ بحاجتي».[1]

ويعلل ابن جني سبب إبدال تاء افتعل طاء إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء هو أن هذه الأحرف مطبقة والتاء مخفتة، فقلبوها طاء لتكون أقرب من لفظ الصاد والضاد والظاء، واختاروا الطاء لأنها أخت التاء في المخرج وأخت الصاد والضاد والظاء في الإطباق والاستعلاء.

يقول ابن جني في ذلك : « وأصل هذا كله اِصْتَبَرَ واِضْتَرَبَ واِطْتَرَدَ واِظْتَهَرَ، ولكنهم لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف، والتاء مهموسة، وهذه الأحرف مطبقة، والتاء مخفتة، قربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء، بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن، وهو الطاء؛ لأن الطاء أخت التاء في المخرج، وأخت هؤلاء الأحرف في الإطباق والاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاء أيضا، لتوافقها في الجهر والاستعلاء، وليكون الصوت متفقا ».[2]

ويعلل ابن جني إبدال تاء افتعل دالا إذا كانت فاؤه زايا أو ذالا بقوله : « اِزْدَجَرَ أصلها اِزْتَجَرَ، والزاي مجهورة والتاء مهموسة فقلبوا التاء دالا لتوافق الزاي في الجهر».[3]

ويضيف: « اِذَّكَرَ أصله اِذْتَكَرَ ، والذال مجهورة والتاء مهموسة فأبدلوا التاء ذالا لتوافق الذال في الجهر».[4]

نلاحظ هنا أن ابن جني قد اعتمد في تفسيره إبدال فاء افتعل على صفات الأصوات التي تجاور الفاء، وتأثير هذه الأصوات على الفاء، هذا التأثير الذي يدعو إلى التماثل الجزئي أو الكلي. ويرى ابن جني أن الإبدال يكون لتقريب صوت من صوت آخر فيقول : « ونحو من هذا التقريب في الصوت قولهم في سَبَقْتُ: صَبَقْتُ وفي سُقْتُ صُقْتُ ، وفي

---

[1]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـ1/ ص 229.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– ابن جني، المنصف، ص 545.

[4] -المصدر نفسه، ص 546 .

سَمْلَق صَمْلَق: وفي سُوَيْق صُوَيْق ، وذلك أن القاف حرف مستعل والسين حرف غير مستعل، إلا أنها
أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد».[1]

ومن الإبدال أيضا إبدال الميم من الواو يقول فيه: « أما إبدالها من الواو فقولهم فَمٌ، وأصله فَوْهٌ بوزن سَوْطٌ فحذفت الهاء للتخفيف فلما بقي الاسم على حرفين الثاني منهما حرف لين كرهوا حذفه للتنوين، فأبدلوا من الواو ميما لقرب الميم من الواو لأنهما شفهيتان».[2]

والتعليل هنا صوتي واضح لاعتماده على صفة ومخرج الصوتين الميم والواو.

III- الإدغام:

1- تعريفه:

لغة: الإدغام هو الإِدْخال. وهو إدخال اللجام في أفواه الدواب. وهو إدخال حرف في حرف آخر، يقال: أَدْغَمْتُ الحرف ادَّغَمْتُهُ على افْتَعَلْتُهُ.[3]

اصطلاحا:- الإدغام في اصطلاح النحويين والتصريفيين: ضد الإظهار وهو النطق بحرفين- مثلين أو متقاربين- حرفا واحدا مشددا عليه، وغالبا ما يكون الحرف الأول في الأصل ساكنا والثاني متحركا دون أن يكون بينهما فاصل، ثم تتم عملية إدغام الساكن الأول في الثاني.[1] ويعرفه إبراهيم أنيس بقوله: « الإدغام هو فناء الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني، وهو لهذا تأثر رجعي ».[2]

---

[1]- ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـ 1/ ص 198.

[2]- المصدر نفسه، مجـ2/ ص 89- 90.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، ج4/ص358. مادة (د غ م).

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن إبراهيم أنيس قد ساوى بين مصطلح الإدغام – المصطلح القديم– ومصطلح المماثلة عند المحدثين، ورأى بأن الإدغام هو مماثلة رجعية.[3]

ويدعم رأيه الطيب البكوش فيقول:« الإدغام هو نزعة صوتين إلى التماثل أي الاتصاف بصفات مشتركة تسهل اندماج أحدهما في الآخر، ويقع ذلك خاصة في الحروف المتقاربة المخارج ».[4]

وهذا عبده الراجحي يعرفه بقوله: « الإدغام ضرب من التأثير الذي يقع بين الأصوات المتجاورة، وهو لا يكون إلا في نوعين من الأصوات هما:

- الصوتان المثلان.كإدغام الكاف في مثل : سُكْكَر= سُكَّر.
- الصوتان المتقاربان كإدغام اللام في الراء في مثل: قل ربي (تنطق قُرَّبي)» .[5]

نستنتج مما سبق أن الإدغام هو إدخال حرف في حرف آخر والنطق بالحرفين من مخرج واحد ودفعة واحدة، فالإدغام إذن هدفه اختصار الجهد العضلي الذي يبذله المتكلم عند النطق بحرف واحد مرتين دون إدغام، وهذا فيه ثقل على اللسان لذلك لجأ المتكلم العربي إلى الإدغام طلبا للتخفيف والسهولة في النطق.

2- <u>الإدغام عند ابن جني:</u>

تعد ظاهرة الإدغام في اللغة العربية ظاهرة صوتية بحتة؛ لأنها تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، فيؤثر صوت في آخر فيمنحه صفاته كلها أو بعضها، وبهذا يكون الإدغام.

---

[1]–عبد الله بوخلخال، الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2000م، ص6.

[2]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص116.

[3]– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص62.

[4]– الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992م، ص67.

[5]– عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ط2، دت، ص 195.

وقد تفطن العلماء القدماء وعلماء القراءات القرآنية إلى هذه الظاهرة الصوتية، فاهتموا بها، ورصدوا أوجهها في اللهجات والقراءات المختلفة، ووضعوا لها الكثير من الضوابط والقواعد، كما اهتموا بتفسيرها وتعليل أسباب حدوثها، ووضعوا حدودا لها وشروطا خاصة بها، وحددوا متى يكون الإدغام واجبا، ومتى يكون جائزا، ومتى يكون ممتنعا.

وإذا عدنا إلى المصنفات اللغوية والنحوية القديمة لوجدنا أن الخليل بن أحمد هو أول من تعرض لظاهرة الإدغام في معجمه العين، أو في أقواله التي نسبها إليه تلاميذه وخاصة سيبويه. كما يعد سيبويه أول من بحث في ظاهرة الإدغام من جميع وجوهها بتفصيل وتحليل وتعليل كبير، وذلك لأن البحث الصوتي عند سيبويه كان وسيلة من وسائل التحليل الصرفي في المقام الأول.[1]

ويعد ابن جني من بين العلماء الذين تفطنوا لهذه الظاهرة، ويبدو أنه كان أكثرهم إدراكا لطبيعة هذه الظاهرة اللغوية كظاهرة صوتية، فهو يرى أن الإدغام تقريب صوتي.[2]

وقد ذكر ابن جني الإدغام في مواطن عديدة من كتبه، من ذلك ما جاء في كتابه الخصائص،[3] إذ قام بتحديد مفهوم الإدغام بقوله: « هو تقريب صوت من صوت ».

فالإدغام عنده ظاهرة تحدث بين الأصوات وتعني التقريب الصوتي.

ثم حدد أضربه: وجعلها ضربين هما:

- إدغام المتماثلين: وهو على حد قوله:« أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، والأول من الحرفين في ذلك على ضربين:

---

[1]- ينظر: عبد الله بوخلخال، الإدغام عند علماء العربية، ص 34-35.

[2]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 299.

[3]- ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/ص92-93.

ساكن ومتحرك، فالمدغم الساكن الأصل كطاء قَطَّعَ، وكاف سُكَّر الأولين، والمتحرك نحو دال شَدَّ. ولام مُعْتَلٌّ» . شَدَّ أصلها شَدَدَ. ومُعْتَلٌّ أصلها مُعْتَلَلٌ.

- إدغام المتقاربين: ويقول فيه: « أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه. وذلك مثل وَدٌّ في اللغة التميمية، وامَّحَى ، وامَّازَ، واصَّبَرَ واثَّاقَلَ عنه » . وَدٌّ أصلها وَتَدٌ، وامَّحَى أصلها امْتَحَى، وامَّازَ أصلها امْتازَ، واصَّبَرَ أصلها اصْتَبَرَ. واثَّاقَلَ أصلها اثْتَاقَلَ.

ثم ذكر ابن جني طريقة الإدغام أو كيفيته فقال: « ألا ترى أنك في قطَّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنها نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر ».

ثم حدد الهدف من الإدغام بكونه وسيلة للتخفيف والابتعاد عن الثقل فيقول: «ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها كقولك قطْطَع و سكْكَر »، ويضيف « فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول وخلطته بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه ».

ثم تحدث عن الأصل في الإدغام، وهو أن يكون الأول من المثلين متحركا فيسكن ليدغم في الثاني، ويقول في هذا:« فإن كان الأول من المثلين متحركا ثم أسكنته و أدغمته في الثاني، فهو أظهر أمرا، و أوضح حكما، ألا ترى أنك إنما أسكنته لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه. وأما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمت، فلا إشكال في إيثار تقريب أحدهما من صاحبه، لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير».

ثم يشير ابن جني إلى أن هذا حديث الإدغام الأكبر. وقد سماه الإدغام الأكبر ليفرق بينه وبين الإدغام الأصغر، والذي يعني المماثلة – كما سبق وذكرنا–.

وبالإضافة إلى حديثه عن الإدغام تحدث ابن جني في مواطن أخرى عن فك الإدغام، وعن امتناعه في بعض الصيغ.

ومن الإدغام ما جاء في كتابه سر صناعة الإعراب في باب الطاء عند حديثه عن البدل في تاء افتعل ، يقول: « ومنهم من إذا كانت الفاء ظاء أبدل التاء طاء ، ثم أبدل الظاء طاء، وأدغم الطاء في الطاء، فيقول :اِطَّهَرَ بحاجتي، وظَلَمْتُهُ فاطَّلَمَ، وذلك لما بين الظاء والطاء من المقاربة في الإطباق والاستعلاء».[1]

ويضيف ما يمتنع فيه الإدغام فيقول: «ومن أجاز هذا القول فقال اِطَّلَمَ، لم يجزه مع الصاد ولا مع الضاد، لا نقول في اصطبر: اِطَّبَرَ ولا في اضطرب: اِطَّرَبَ، وذلك لأن في الصاد طولا وصفيرا، فلا تدغم هي ولا أختاها السين والزاي في الطاء، ولا في أختيها الدال والتاء. ولا في الظاء، ولا في أختيها الذال والثاء[2] ».

من عرضنا لظاهرة الإدغام عند ابن جني، يتضح لنا أن ابن جني قد توصل إلى أن الإدغام نوع من التغيرات الصوتية التي تحدث في الكلمة العربية، والتي تهدف إلى دفع الثقل الذي يكون عند التقاء المتماثلين أو المتقاربين، هذا الالتقاء الذي يستوجب أو يستحسن الإدغام طلبا للخفة والانسجام الصوتي.

[1]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، مجـ 1 / 229.

[2]– المصدر نفسه، مجـ1/ ص 230.

خاتمـــــــــة

تمخضت عن هذه الدراسة العلمية لملامح الصوتيات التركيبية عند عالمنا الجليل ابن جني مجموعة من النتائج، حصرناها في نقاط توَّجنا بها هذا البحث، وجعلناها خاتمة له، لعلها تكون بداية لبحوث أخرى عند أولي العلم والاختصاص.

ومن أهم هذه النتائج نذكر:

1- الفونيم من بين أهم المصطلحات والمفاهيم التي تدور في فلك علم الأصوات التركيبي، ومن خلال دراستنا توصلنا إلى أن ابن جني قد فرق بين الحرف والصوت لكن ليس كتفريق المحدثين بينهما، مما جعله كثيرا ما يستعمل المصطلحين لمفهوم واحد. وقد تفطن لفكرة الفونيم، وأدرك أهمية الفونيمات في تحديد الدلالة والمعاني، وأدرك أن تغيير الفونيمات يؤدي بالضرورة إلى تغيير المعاني.

2- المقطع أيضا من المصطلحات والمفاهيم التي تهتم بها الصوتيات التركيبية، والمقطع كمصطلح كان موجودا في الدراسات العربية القديمة. ورأينا ذلك عند ابن جني، ولكنه لم يكن بالمفهوم الحديث لكلمة المقطع. وقد رأينا إشارة له عند الفارابي الذي مثل لبعض المقاطع، فاتضح من تمثيله أن المقطع عنده كالمقطع عند المحدثين، وقد توصلنا إلى أن ابن جني كان يفقه فكرة المقاطع، وإن لم يذكرها، ولم يسجل لها، إلا أن له تعليلات كثيرة لصيغ مرفوضة أدخلها ضمن مسميات متعددة: كالإعلال، والإبدال، ومنع التقاء الساكنين، وغيرها. في حين أن الدرس الصوتي الحديث أكد رفضها لخروجها من النظام المقطعي العربي.

3 - مما تهتم الصوتيات التركيبية بدراسته المظاهر السياقية: كالنبر، والتنغيم، والوقف، وقد كانت لنا وقفات مع كل مظهر منها. وقد أشار ابن جني إلى النبر في دراساته، وهذا عند حديثه عن حذف الصفة، وإن لم يصطلح على الظاهرة التي وصفها بمصطلح معين، إلا أن ما قاله ووصفه يدل دلالة واضحة على ما تسميه الدراسات الحديثة بالنبر.أما التنغيم فقد أشار إليه ابن جني أيضا دون أن يصطلح عليه بمصطلح معين، واكتفى بوصفه فقط. أما الوقف فقد اكتفى ابن جني في كتبه هذه بالإشارة إليه أثناء حديثه عن قضايا أخرى، لذلك لا نجد تفصيلا له، ولا ذكرا لأهميته في تحديد معاني المنطوق كونه ظاهرة سياقية.

4- التغيرات الصوتية من المباحث المهمة التي تهتم بها الصوتيات التركيبية. ومن التغيرات الصوتية التي تحدث في الصيغ الصرفية: المماثلة، والمخالفة، والقلب المكاني، والتوافق الحركي، والإعلال، والإبدال، والإدغام، ومن خلال دراستنا لهذه التغيرات الصوتية، توصلنا إلى أن

- المماثلة من التغيرات الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر صوت بآخر يجاوره. وقد تفطن ابن جني إلى هذا النوع من التأثير ودرسه في كتابه الخصائص، في باب(الإدغام الأصغر)، وله عليه تعليلات صوتية.

- المخالفة عكس المماثلة، وهي ظاهرة هدفها زيادة مدى الخلاف بين الصوتين اللذين أثر أحدهما في الآخر، ومن الملاحظ أن ابن جني قد تعرض لهذا النوع من التغيرات الصوتية في كتابه الخصائص في باب (قلب اللفظ إلى اللفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف). إلا أنه لم يعلل لها.

- القلب المكاني من التغيرات الصوتية التي تحدث في الصيغ الصرفية وقد عالجها ابن جني في باب (الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير)؛ إلا أنه اعتمد في تفسيرها على الجانب الصرفي وأهمل الجانب الصوتي الذي له الحظ الكبير في تفسير هذه الظاهرة.

- التوافق الحركي هو مماثلة تقع بين الصوائت دون الصوامت، وقد أشار إليه ابن جني في مواقع متفرقة من كتبه ذكرنا بعضها للتمثيل لا الحصر.

- الإعلال والإبدال والإدغام من الظواهر اللغوية التي حظيت بدراسات مستفيضة منذ بدايات الدراسات اللغوية، ولابن جني دراسات جادة في هذه الظواهر. وله عليها تعليلات صوتية كثيرة، ويمكن القول أن لابن جني فضل السبق في تقديم تعليلات صوتية لهذه الظواهر اللغوية

أخيرا نشير إلى أن ابن جني واحد من العلماء القدماء الذين كانت لهم دراسات قيمة على اللغة بكل مستوياتها. وإن كان الواضح أن ابن جني قد فصل القول في كثير من قضايا علم الأصوات العام، وبالضبط علم الأصوات النطقي، إلا أننا قد توصلنا إلى أنه

وبالإضافة إلى ذلك قد لمح ابن جني إلى كثير من قضايا علم الأصوات التركيبي، والتـــي يدعي الغرب أسبقيته إلى اكتشافها ودراستها.

لذلك من التوصيات التي خرجنا بها ونلح عليها: ضرورة العودة والاهتمام بـــالتراث اللغوي العربي، ومحاولة استنطاقه؛ لمعرفة القضايا التي توصل إليها القدماء ومازالت لم تجد النور في الدراسات الحديثة، أو لمعرفة القضايا الحديثة التي لها جذور في الدراسات القديمة.

قائمة المصادر والمراجـــــــــع

- القرآن الكريم

مصـــــــــــادر الدراسة:

*** ابن جني (أبو الفتح عثمان ت 392هـ)**

01- الخصائص ، تحـــ: عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية، مصر، دط، دت.

02- الخصائص، تحـــ: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط، 1376هـــ/ 1957م.

03- سر صناعة الإعراب، تحـــ: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1،1421 هـــ/2000م.

04- المنصف، تحـــ:محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1،1419هـــ/1999م.

مراجـــــــــع الدراسة:

*** إبراهيم أنيس**

01- الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دط، دت.

02- في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت.

*** أحمد مختار عمر**

03- البحث اللغوي عند العرب (التأثير والتأثر)، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م.

04- دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة مصر، دط، 1418هـــ/ 1997م.

*** استيتية (سمير شريف)**

05- اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2، 1429هـــ/2008م.

*** ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد ت 577هـ)**

06- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحـ: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط3، 1405 هـ /1985م.

*** باي(ماريو)**

07- أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط8، 1419 هـ/1998م.

*** بروكلمان(كارل)**

08- تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة مصر، ط4، دت.

*** البطوش(تحسين إبراهيم)**

09- الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة ابن محيصن، دار الحامد، عمان الأردن، ط1، 2011م.

*** البكوش(الطيب)**

10- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992م.

*** البهنساوي(حسام)**

11- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، ط1، 2005م.

*** بوخلخال(عبد الله)**

12- الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2000م.

*** أبو تاكي(سعود بن غازي)**

13- خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، دار غريب، القاهرة مصر، ط1، 1425 هـ / 2005م.

*** تمام حسان**

14- اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط4، 2000م.

15- اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، دط، 1994م.

16- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، دط، 1407هـ/ 1986م.

*** التونجي(محمد) وراجي الأسمر**

17- المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/2001م.

*** الجرجاني (الشريف علي بن محمد)**

18- التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، دت.

*** جرجي شاهين عطية**

19- سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دار ريحاني، بيروت لبنان، ط4، دت.

*** حساني(أحمد)**

20- مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1999 م.

*** حركات(مصطفى)**

21- الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

*** الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت 626هـ)**

22- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحـ: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1993م.

*** ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 681هـ)**

23- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحـ: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، دط، دت.

* **الخويسكي(زين كامل)**

24- الأصوات الغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، دط، 1429هـ/2008م.

* **الخويسكي(زين كامل)، ونجلاء محمد عمران**

25- مختارات صوتية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، دط، 2007م.

* **دراقي(زبير)**

26- محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.

* **بن دومي(خالد قاسم)**

27- دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،ط1، 2006م.

* **الراجحي(عبده)**

28- التطبيق الصرفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ط2، دت.

* **رمضان عبد التواب**

29- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط3، 1417هـ/1997م.

* **رمضان منيسي عبد الله**

30- الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار النشر للجامعات، القاهرة مصر، ط1، 2006م.

* **الزموري(عمر بوحفص)**

31- فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، دط، دت.

* **الزيدي(ابتهال)**

32- علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة، عمان الأردن، دط، 2005م.

* **سامبسون(جيفري)**

33 – المدارس اللغوية التطور والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.

* **السعران(محمود)**

34– علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، دط، دت.

* **سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180هـ)**

35– الكتاب، تحـ: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ/1999 م.

* **ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله ت 428هـ)**

36– رسالة أسباب حدوث الحروف، تحـ: محمد حسَّان الطيَّان ويحي مير علم، مجمع اللغة العربية بدمشق، دط، دت.

* **السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين ت 911 هـ)**

37– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت لبنان،ط2، 1399هـ/1979م.

38– المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحـ: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة مصر، ط3، دت.

* **شوقي ضيف**

39– المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة مصر،ط10، 2008م.

* **الصيغ(عبد العزيز)**

40– المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق سورية، دط، 1998م.

* **الطنطاوي(محمد)**

41– نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة مصر، ط2، دت.

* **العاني(سلمان حسن)**

42– التشكيل الصوتي في اللغة العربية تر: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية، ط1، 1403 هـ/ 1983م.

* **عكاوي(رحاب خضر)**

43- موسوعة عباقرة الإسلام في النحو واللغة والفقه، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 1993م.

* **عبد العليم إبراهيم**

44- تيسير الإعلال والإبدال، دار غريب، القاهرة مصر، دط، دت.

* **ابن العماد (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ت 1089هـ)**

45- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحـ: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1،1406هـ /1986م.

* **عبد القادر عبد الجليل**

46- الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان الأردن، ط1، 1431هـ/2010م.

* **عبد المجيد مجاهد**

47- علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة مصر، دط،2010م.

* **الغلاييني(مصطفى)**

48- جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط28، 1414هـ/1993م.

* **الفاخري(صالح سليم عبد القادر)**

49- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية مصر، دط،2007

* **الفارابي(إسحاق بن إبراهيم الفارابي أبو إبراهيم ت 350هـ)**

50- الموسيقى الكبير، تحـ: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر، دط، دت.

* **فدوى محمد حسان**

51- أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1432هـ/2011م.

*** فيصل إبراهيم صفا**

52- قضايا التشكيل في الدرس اللغوي في اللسان العربي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1،1431 هـ/2010م.

*** القفطي (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت 624هـ)**

53- انباه الرواة على أنباه النحاة، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

*** كريم زكي حسام الدين**

54- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، دار الرشاد، ط3، 1421 هـ/2001م.

*** كمال بشر**

556- علم الأصوات، دار غريب، القاهرة مصر، دط، 2000 م.

*** لوشن(نور الهدى)**

56- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الأزاريطة الإسكندرية مصر، دط، 2000 م.

*** محمد بن إبراهيم الحمد**

57- فقه اللغة، دار ابن خزيمة، ط1، 1426 هـ/2005م.

*** محمد عبد العزيز عبد الدايم**

58- النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة مصر، ط1، 1427هـ/2006م.

*** مجمع اللغة العربية**

59- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م.

*** مدكور(عاطف)**

60- علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة، القاهرة مصر، دط، 1987م.

*** ابن منظور(محمد بن جلال الدين مكرم ت 711هـ)**

61- لسان العرب، تحـ: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث للنشر، الجزائر، ط1، 2008م.

*** النجار(نادية رمضان)**

62- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، دط، دت.

*** ابن النديم(أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق ت 380هـ)**

63- الفهرست، تحـ: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2،1422هـ/2002م.

*** النعيمي(حسام سعيد)**

64- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1980م.

المقالات والدوريات:

*** أحمد مختار عمر**

01- المصطلح الألسني العربي، مجلة عالم الفكر الألسنية، المجلد العشرون ، العدد3، أكتوبر نوفمبر ديسمبر 1989.

*** بوروبة(مهدي)**

02- أصول الدراسة المقطعية في التفكير اللغوي عند العرب، مجلة الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة الجزائر، العدد2، ماي 2003 م.

*** بوعمامة(محمد)**

03- الصوت والدلالة دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، شبكة صوت العربية.www.voicofarabic.net

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة..... أ
تمهيد..... 11
الفصل الأول: ابن جني وكتبه: الخصائص، وسر صناعة الإعراب،والمنصف
توطئة..... 18
المبحث الأول: ابن جني ترجمة حياته
1- نسبه ومولده وصفاته وأولاده..... 19
2 - شيوخه..... 21
3- تلامذته..... 23
4 - ابن جني النحوي الصرفي..... 23
5- ابن جني الأديب الشاعر..... 24
6- آثاره ومؤلفاته..... 25
7- وفاته..... 27
المبحث الثاني: مدونة الدراسة: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمنصف
- أولا: الخصائص..... 28
1- عنوانه..... 28
2- الهدف من تأليفه..... 29
3- مباحثه..... 30
4- منهجية ابن جني في كتابه الخصائص..... 32
- ثانيا: سر صناعة الإعراب..... 34
1- عنوانه..... 34
2- الهدف من تأليفه 35
3- مباحثه..... 36
4- منهجية ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب..... 40

-ثالثا:المنصف..... 41
1- عنوانه..... 41
2- الهدف من تأليفه..... 42
3- مباحثه..... 43
4- منهجية ابن جني في كتابه المنصف..... 45

الفصل الثاني: فكرة الفونيم والمقطع عند ابن جني

توطئة..... 47

المبحث الأول: فكرة الفونيم

1-مدخل تاريخي..... 48
2-تعريف الفونيم..... 49
3-أنواع الفونيمات..... 51
4-بين الفونيم والألوفون، والصوت والحرف..... 52
5- فكرة الفونيم عند ابن جني..... 56

المبحث الثاني : فكرة المقطع

1-تعريف المقطع..... 62
2- مكونات المقطع..... 65
3- أنواع المقاطع..... 66
4- خصائص النظام المقطعي العربي 69
5-المقطع في الدراسات العربية القديمة..... 70
6- المقطع عند ابن جني..... 72

الفصل الثالث: المظاهر السياقية عند ابن جني

توطئة..... 77

المبحث الأول:النبر

1-تعريف النبر..... 78
2-درجات النبر..... 79
3-وظائف النبر..... 80

4- النبر في اللغة العربية..... 81
5- النبر عند ابن جني..... 83
المبحث الثاني:التنغيم
1 - تعريف التنغيم..... 87
2- درجات التنغيم..... 88
3 - وظائف التنغيم..... 89
4 - التنغيم عند ابن جني..... 90
المبحث الثالث:الفواصل الصوتية
1 - الوقف..... 93
2- أنواع الوقف..... 95
3- السكتة..... 96
4- الاستراحة..... 96
5- الوقف عند ابن جني..... 97

الفصل الرابع: التغيرات الصوتية عند ابن جني

توطئة..... 100
المبحث الأول: المماثلة والمخالفة
|- المماثلة..... 101
1-تعريفها..... 101
2-أنواع التأثر الصوتي الناتج عن المماثلة..... 102
3-أنواع المماثلة..... 102
4-المماثلة عند ابن جني..... 103
||-المخالفة..... 105
1-تعريفها..... 105
2-أنواع المخالفة..... 106
3-المخالفة عند ابن جني..... 107

المبحث الثاني: القلب المكاني والتوافق الحركي

| – القلب المكاني..... 108
1–تعريفه..... 108
2–أنواع القلب المكاني..... 109
3–القلب المكاني عند ابن جني..... 110
|| – التوافق الحركي..... 111
1–تعريفه..... 111
2– التوافق الحركي عند ابن جني..... 112

المبحث الثالث:الإعلال والإبدال والإدغام

| – الإعلال..... 114
1–تعريفه..... 114
2–أقسام الإعلال..... 115
3–الإعلال عند ابن جني..... 116
||– الإبدال..... 119
1– تعريفه وأنواعه..... 119
2 – الإبدال عند ابن جني..... 122
||| – الإدغام..... 124
1–تعريفه..... 124
2–الإدغام عند ابن جني..... 125
خاتمة..... 130
قائمة المصادر والمراجع..... 136
فهرس المحتويات..... 143
الملخص..... 148

ملخص البحث

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة التي بين أيدينا المستوى الصوتي للغة العربية عند العالم الجليل "ابن جني"، أحد علماء القرن الرابع الهجري الذين يرجع لهم الفضل في وضع كثير من قواعد اللغة العربية، وفي جل مستوياتها الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.
سس

ويعد ابن جني رائد في مجال علم الأصوات قديما وحديثا، فقد تمكن بذكائه وبصيرته النافذة من دراسة الأصوات وتحديد مخارجها وصفاتها دراسة وافية ودقيقة، أذهلت عقول المتقدمين والمتأخرين، وهذا على الرغم من غياب الوسائل الحديثة المساعدة على دراسة الأصوات دراسة علمية دقيقة.

ومن المعروف أن الصوت اللغوي يدرس وفق محورين هما:

- محور الوصف والتحديد: ومجاله علم الأصوات العام، وهو المجال الذي برع فيه ابن جني.
- محور الوظيفة: ومجاله علم الأصوات التركيبي.

وهدفنا في هذه الدراسة البحث عن ما إذا كان لابن جني ما يذكر في مجال علم الأصوات التركيبي.

وقد توصلنا إلى أن ابن جني قد لمَّح إلى كثير من قضايا علم الأصوات التركيبي، ونقول لمَّح لأنه أشار إليها دون أن يدرسها بتفصيل كما درس قضايا علم الأصوات العام، ومن القضايا التي لمَّح لها وتدرج ضمن محاور علم الأصوات التركيبي نجد:

- الفونيم والمقطع: لقد أثبت ابن جني في دراساته على أنه يفقه فكرة الفونيم بتحديده لحروف اللغة العربية. ويفقه فكرة المقطع بتعليله لكثير من الصيغ الصرفية المرفوضة.

- المظاهر السياقية: النبر والتنغيم والوقف وقد أشار ابن جني إليها، وأكد على وجودها في الكلام العربي، وفائدتها في تحديد دلالة المنطوق.

- التغيرات الصوتية: وقد أشار ابن جني إلى العديد من القضايا التي تدرج ضمن علم الصرف العربي، وأكد على أن لها تعليلات صوتية مما يجعلها تدخل ضمن علم الأصوات التركيبي.

Résume de recherché

L'étude dont nous disposons dénote le niveau phonétique appréciable de la langue arabe, mis en évidence par l'imminent savant Ibn Djeni, qui fut l'une des sommités du IVème siècle, à qui revient le mérite d'avoir instaurer un ensemble de règles de phonétique, de grammaire, de conjugaison, et de sémantique pour la langue arabe .

Ibn Djeni a été depuis longtemps, et demeure leader dans le domaine de la phonétique. Il a pu, grâce à son intelligence et à sa vision, réaliser une étude complète et précise sur la phonétique, et la détermination de ses caractéristiques et ses aboutissements, qui a impressionné les esprits les plus et les moins évolués, et ce malgré l'absence de moyens modernes permettant une telle étude.

Il est convenu, que la phonétique s'étudie à travers deux axes :
- L'axe de la description et la sélection qui concerne la phonétique de manière général, et dans lequel excelle Ibn Djeni
- L'axe fonctionnel qui concerne la phonologie structurale, et dont nous cherchons si Ibn Djeni y a apporté sa contribution

Il s'est avéré qu'Ibn Djeni a souvent fait allusion à des questions relatives à la phonologie, sans s'y étaler

Parmi ces questions, figurent :
- Le phonème et le syllable : Ibn djeni a prouvé dans ses recherches la nécessaire compréhension du phonème afin de déterminer les lettres arabes, et de l'idée de la section pour expliquer la plupart des formules de conjugaison exclues

- Les aspects contextuels,le stress, l'intonation, et le pause, que Ibn djeni a cité et précisé leur existence dans le parlé arabe, et son importance dans l'indication opératoire

- Les changements phonétiques : Ibn Djeni a également fait référence à plusieurs questions relatives à la Morphologie arabe, et a précisé qu'elles avaient des explications sonores qui relèvent de la phonologie.